مكتبة الأسرة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٨

الأدب العالمى للناشئين

هى أو عائشة

تأليف : سير هنرى رايدر هاجارد



هى أو عائشة

هي أو عائشة

تأليف: سير هنري رايدر هاجارد

ترجمة: صلاح عز الدين

مراجعة: مختار السويفي



مهرجان القراءة للجميع ٩٨

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(روائع الأدب العالمى للناشئين)

هى أو عائشة

تأليف: سير هنرى رايدر هاجارد

ترجمة: صلاح عز الدين

مراجعة: مختار السويفى

الغلاف: للفنان جمال قطب

الإشراف الفنى:

للفنان محمود الهندى

المشرف العام

د. سمير سرحان

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة التنمية الريفية

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: هيئة الكتاب

مقدمة



ومازال نهر العطاء يتدفق، تتفجر منه ينابيع المعرفة والحكمة من خلال إبداعات رواد النهضة الفكرية المصرية وتواصلهم جيلاً بعد جيل. ومازلنا نتشبث بنور المعرفة حقاً لكل إنسان ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة فى كل بيت.

شبَّت التجربة المصرية «القراءة للجميع» عن الطوق ودخلت «مكتبة الأسرة» عامها الخامس يشع نورها ليضىء النفوس ويثرى الوجدان بكتاب فى متناول الجميع ويشهد العالم للتجربة المصرية بالتألق والجدية وتعتمدها هيئة اليونسكو تجربة رائدة تحتذى فى كل العالم الثالث، ومازلت أحلم بالمزيد من لآلىء الإبداع الفكرى والأدبى والعلمى تترسخ فى وجدان أهلى وعشيرتى أبناء وطنى مصر المحروسة، مصر الفن، مصر التاريخ، مصر العلم والفكر والحضارة.

سوزان مبارك

على سبيل التقديم

تواصل مكتبة الأسرة ٩٨ رسالتها التنويرية وأهدافها النبيلة بربط الأجيال بتراثها الحضارى المتميز منذ فجر التاريخ وإتاحة الفرصة أمام القارئ للتواصل مع الثقافات الأخرى، لأن الكتاب مصدر الثقافة الخالد هو قلعتنا الحصينة وسلاحنا الماضى فى مواكبة عصر المعلومات والمعرفة.

د. سمير سرحان

مقدمـــة

يتميز الأديب الانجلـيزى العظيم «سـير هنرى رايدر هاجارد» بالخيال الخصب والقدرة الفائقة على نسج الأحداث المثيره ، وخلق الشخصيات الروائية ذات الجاذبية الشديدة .

واذا بدأ القارىء فى قراءة الســطور الأولى من اية رواية من رواياته الشهيرة ، فلا يستطيع أن يبعد

عينيه من السطور التاليـة ، ولا يستطيع ان يؤجل القراءة الى وقت آخر ، او يتوقف عند فصل معين .. ولا يملك الا ان يواصـل القراءة الممتعة حتى آخر كلمة ، مسحورا بالأسلوب البسيط الآسر ، وبالأحداث المتلاحقة المبهرة التى تأخذ الالباب .

وقد فطنت السينما العالمية الى تلك الخاصـية الديناميكية التى يتميز بها « الحـدث » فى أعمال هذا الأديب القـدير ، فاخرجت معظم رواياتـه فى افـلام ضخمـة حازت شهرة عالميـة ، وما زالت تلقى نفس الرواج والاقبال الذى لاقته منذ انتاجهـا لأول مرة منذ عشرات السنين .

ولد هنرى رايدر هاجـارد فى برادنهـام هول بمدينة نورفولك بانجلترا فى ٢٢ يونيو سنة ١٨٥٦ ، ومات فى لندن فى ١٤ مايو سنة ١٩٢٥ عن عمر يناهز السبعين عاما ، قضاها فى حيـاة حافلة بشتى المشاغل والهوايات .. فمن ممارسة مهنـة المحاماة الى تقلد الوظائف الحكومية ، الى ممارسة حرفة الزراعة التى الف فيهـا كتبـا .. الى ان ادركتـه حرفـة الأدب

فمارسها كهواية أبدع فيهـا مجموعـة من الروايات الشهيرة التى صدرت منها عشرات الطبعات .. وأغلب الظن انها ستجد طريقها الى المطـابع مرات أخرى ومرات ، لتصدر بمختلف اللغات التى ترجمت اليها فى المـاضى ، وستترجم اليها فى المستقبل .

وقد عمل هنرى رايدر هاجارد فترة طويلة من حياتـه بالادارة القانونيـة لاقليم الترنسفال بجنوب افريقيا ، حين كان هـذا الاقليم خاضـعا للاستعمار البريطـانى .

ولذلك فلم يكن من الغريب أن نرى معظم رواياته الأدبية تدور أحداثها فى افريقيا .. ولم يكن غريبـا أيضا أن يؤلف كتابا عن أساليب وتاريخ الاسـتعمار فى افريقيا .. وقد منح لقب « سـير » فى عام ١٩٢٥ تقديرا لخدماته للامبراطورية البريطانية .

ولعل أشـهر رواياته التى يعرفهـا قراءة الأدب واحبابه فى مختلف انحـاء العالم روايات : « **الفجر** » ١٨٨٤ .. و « **كنوز الملك سليمان** » ١٨٨٥ ..

.. ١٨٨٧ « نجمة الصباح » و « هي او عائشة » و بالاضافة الى رواياته وكتبه الأخرى الأقل شهرة مثل « كيتويو وجيرانه البيض » ١٨٨٢ .. و « ايريك برايتيس » ١٨٨٣ .. و « ابنة مونتزوما » ١٨٩٣ .. و « شعب الضباب » ١٨٩٤ .. و « سوالو » ١٨٩٨ .. و « ابن العاطفة » ١٩٠٣ .. و « آلان العجوز » ١٩٢٠ .. و « هي آلان » ١٩٢١ ، فضلا عن مؤلفاته الزراعية والتاريخية والسياسية مثل « انجلترا والزراعة » ١٩٠٢ .. و « الدنمارك والزراعة » ١٩١١ .. وكتاب « الفقير والأرض » وكتاب « أيام حياتي » الذى سجل فيه ذكرياته وتفاصيل حياته الحافلة . وقد صدر هذا الكتاب الأخير سنة ١٩٢٦ أى بعد نحو عام من وفاته .

« رئيس التحرير »

(١) كيف وصلتنى هذه القصة

كنت اسـير ، ذات يوم ، فى شـارع فى مدينـة كمبريدج ، مع صديق ، عندما لاحظت رجلين يتقدمان نحونا ، وقد تابط احدهما ذراع الآخر .. وكان الفتى فى الواقع أروع شاب رأيته فى حيـاتى ، طوله سـتة أقدام ، ووجهه كامل الجمـال . وعندما رفع قبعته

تحية لسيدة كانت تمر بجانبه ، رايت أن شعر رأسه كان ذهبيا فاتحا .

وقلت لصديقى : يا له من رجل رائع المظهر .. :

واجاب : نعم نعم .. انه ابهى شاب فى الجامعة وواحد من أفضلهم .. الآخرون يطلقون عليه اسم « الاله الاغريقى » .. الا أن اسمه الحقيقى هو « فينسى » . ولكن انظر الى الرجل الآخر .. ان اسمه « هوللى » وهو مربى « فينسى » .. وله الولاية على الشاب حتى يبلغ الخامسة والعشرين من العمر .. بعض الناس يطلقون عليهما اسم « الوحش والجمال » !

نظرت الى الرجل الأكبر سنا .. كان فى حوالى الأربعين من العمر ، قبيحا دميما ، بقدر ما كان الآخر جميلا رائعا .. كان قصيرا متين البنيان .. وكانت ذراعاه بالغتى الطول .. وكان شعره داكنا وعيناه جد صغيرتين . واذا نظرت اليه خطر على بالك فورا ذلك القرد الضخم المعروف باسم « السعدان » قصير

الذيل قبيح المنظر .. الا ان شـــيئا ما فى عينيه كان يجذبك اليه على الفور ويحببك فيه .

قلت لصديقى : انى احب ان التقى بهما !

فقادنى صـــديقى اليهما وبقينا نتــكلم مدة .. تكلمنا عن افريقيا لأنى عدت توا من هنـــاك .. وعندئذ فقط مرت بنا سيدتان وكان واضحا ان « فينسى » يعرفهمـــا ثم حـــدث شيء غريب ، فبينما اســـــتدار « فينسى » ليكلم السيدتين ، توقف « هوللى » عن الكلام واستدار وعبر الشارع وبدا واضحا انه كان يخاف السيدات كما يخاف معظم الناس من حيوان مجنون . !

وفى عصر ذلك اليوم غادرت كمبريدج ، ولم أفكر كثيرا فى هـــذا الأمر لمدة سنوات عديدة .. ثم تلقيت فقط منذ شهرين تقريبـــا خطابا ، وعندما نظرت فيه ووجدت ان اسم مرسله « هوراس هوللى » استغرقنى ذلك بعض الوقت حتى اتذكـــر ذلك الرجـــل ! ..

ويقول الخطاب :

ســـيدى ..

قابلتك منذ خمسة اعوام فى شارع من شـوارع كمبريدج . وكنت حينئذ مع « **ليوفينسى** » وكنت ، منـذ بعض الوقت ، قـد قرات كتبـك « **كنوز الملك سليمان** » و « **آلان كووترمين** » .. انهما طبعا من قصص الرحلات والحوادث الغريبة فى افريقيا .

والقصتان فى جانب منهما واقعيتان وخياليتان فى الجانب الآخر .

انى ارسل اليك هنا حزمة من الأوراق تروى لك أشياء حدثت لنا ، انـا و « **ليوفينسى** » وكانت هذه الأشياء جد غريبة بحيث أرجو أن يمكنـك أنت أن تصدقها .. هذا وانـا « **وليوفينسى** » متفقان على أن القصـة يجب أن تنشر على الناس . ونحن على وشك أن نغادر لغرض سيمكنك طبعا أن تخمنه بعد أن تقرأ قصتنا وتشرف على طبعها . كما أرسل اليك الخاتم والقطعة المهشمة من الابريق الذى تتحدث عنه الأوراق ..

ليس لدى أشــياء أضيفها الى ما هو مكتوب هنا . من كانت ((هى)) ؟ من أين أتت ؟ كيف جاءت الى كهوف ((كور)) ؟ .. لم نعرف أبدا الاجابة على هذه الأسئلة ؟ .. وربما لن نعرف أبدا أو ربما .. اننا ، كما قلت ، ذاهبون فى رحلة . وأرجوك أن تتولى هذه الأشياء حتى نسأل عنها ثانيــة ، اذا عدنا ..

المخلص ((ل. هوراس هوللى))

هذه هى القصـــة التى وصلتنى على هذا النحو الغامض ..

((هـ. رايدر هاجارد))

(٢) كيف جاء الصندوق الحديدى الى هوللى

انــا « **لودفيج هوراس** » كنت جالسـا ذات ليلة فى غرفتى بكمبريدج منذ عشرين عاما مضت .. وكان الوقت متأخرا ليلا ، وكنت اعلم اننى سأؤدى امتحانا فى بحر اســبوع لو نجحت فيه لأمكن لى أن أصــبح مدرسا فى الجامعة .. وكنت عند ذاك ، كما أنا الآن ، رجلا بلا أصدقاء ! .. اننى ، كما أعرف جيدًا ، انسان .

قبيح دميم الشكل . نعم ، ان لى جسما قويا الى درجة غير عادية الا ان شكلى ومظهرى جعلا الناس يطلقون على اسم القرد « **السعدان** » وجعلنى هـذا أخاف النساء جميعا . على أننى مع ذلك لست مولعا بصحبة أقرانى من الرجال .

فى تلك الأيـام عندما كنت أدرس فى كامبريدج كان لدى أصـدقاء قليلون ، ومن بين هؤلاء كان هناك شـخص اسـمه « **فينسى** » .. وكان ــ ويا الغرابة لهذا .. ! ــ من أبهى الرجال الذين سبق لى رؤيتهم .

وجلست أسـتذكر دروسى متأخرا ذات ليـلة فسمعت طرقة خفيفة على الباب . وكانت ليلة شديدة البرودة . وتذكرت حينئذ أن صديقى « **فينسى** » كان مريضـا وظننت أنه ربمـا يكون هو فأسرعت أفتح البـاب ..

وكان فعلا هو « **فينسى** » ،ويكاد يقع أرضا من الضعف ، وكان وجهه شـديد البياض مشـدودا من

الألم وكان هناك خيط رفيع دقيق من الدم يسيل من فمه . وكان يحمل صندوقا ثقيلا من الحديد ..

وضع الصندوق جانبا ثم تهاوى فى مقعده ؛ وظل دقائق لا يستطيع الكلام .. وصببت بعضا من النبيذ وقدمت الكاس اليه . ولما شربه بدا أفضل حالا الا انه كان فعلا رجلا مريضا ..

قلت : دعنى أذهب فأحضر لك طبيبا !

واجاب : كلا يا « **هوللى** » .. لقد انتهيت ! ولن يكون فى مقدورى أن أراك غدا ! .. وما من طبيب يستطيع أن يساعدنى .. ! والآن انظر الى بدقة واصغ الى جيدا فانك لن تسمعنى اتكلم ثانية . لقد كنا أصدقاء مدة طويلة .. قل لى .. ماذا تعرف عنى ؟

ـ أعرف أنك غنى .. وأنك جئت الى الجامعة عندما أصبحت أكبر من معظم الفتيان هنا .. وأعلم أيضا أنك كنت متزوجا .. وأن زوجتك ماتت .. وأعلم كذلك أنك كنت أيضا أفضل صديق لى .. !



وسقط على كرسيه ..

ـ هل عرفت أن لى ابنا .. ؟

ـ كـلا .. !

ـ نعم ، لدى ابن . انه فى الخامسة من عمره . ماتت أمه عندما ولد . ومن أجل ذلك لم اعد أرغب فى رؤيته .. ! « هوللى » ! .. انى اريد ان اجعلك وليا على ابنى !

قفزت من مقعدى قائما وهتفت قائلا : انا . ! ؟

ـ نعم . لقد كنت ابحث عن شخص أعهد اليه بابنى .. وبهـذا الشىء ! واشـار الى الصـندوق الحديدى .. وأنت ذلك الرجل يا « هوللى » .. .انت قوى وأمين وعطوف ! .. اسمع .. ان هـذا الولد سيكون آخر شخص باق من أقدم العائلات فى العالم ! قد تضحك على ما أقول الآن ! .. ولكن فى يوم من الأيـام سيثبت لك فوق كل شىء اننى من سـلالة خمسة وستين جيلا من الأجيـال المتعاقبـة ، بدأها قديما جندى اغريقى كان يعمل فى خدمة فرعون ملك مصر القديمـة . وكان اسـمه « كاليكريتس » ..

و « **كالى** » كما تعلم ، كلمة يونانية معناها « **جميـل** » و « **كريتس** » معناها « **القوة** » .

ان ابن هـذا الجندى قد أصبح كاهنـا للربة ايزيس . وكان ذلك منذ حوالى الفى عـام مضت . ووقع الكاهن فى حب أميرة من اسرة فرعون . وترك هو والأميرة بلاد مصر سرا ، وهربا على ظهر سفينة .. ودفعت الريح بسفينتهما الى ساحل افريقيا . وقتل جميـع من كانـوا على ظهرها سـوى كاليكريتس والأميرة ثم انقذتهما ملكة بيضاء جميلة تحكم شـعبا من المتوحشين .. !

وعاشـا فى منزلها .. وسـتعرف القصـة من الوثائق الموجودة فى هذا الصندوق ، وستعرف أيضا ان هذه الملكة قد قتلت كاليكريتس ، وان الأميرة فرت بطفلها الى اليونان ..

ان الطفل وأطفـاله وأطفالهم قد حملوا جميعا اسم « **فنديكس** » وهو اسم لاتينى معنـاه المنتقم ، وهو الذى سيتولى تخليص الحق من فاعل الجرم .

وتحركت العائلة ، كمـا مضت السـنون ، من

اليونان الى روما .. ومن روما الى فرنسا .. ومن فرنسا الى انجلترا .. وتحول اسم « **فينديكس** » نفسه الى « **فينسى** » .

ان الأشياء التى داخل هذا الصندوق قد انتقلت من الأب الى الابن .. ثم أعطاها أبى لى .. وكان الأمل دائما هو أن يقوم واحد منهم ، فى وقت ما بهذا الانتقام من جريمة القتل التى وقعت منذ مئات الأعوام على يد الملكة البيضاء فى افريقيا . لقد حاولت أنا ان أقوم بواجبى . حاولت أن أعثر على المكان الموصوف فى ذلك الصندوق ولكنى لم اظفر بنجاح .

وفى طريق عودتى من افريقيا التقيت بزوجتى ، وماتت وهى تلد ابنى « **ليو** » .. ثم استدرت أنا عائدا الى العمل ثانية وفكرت قبل أن أذهب الى افريقيا من جديد أن أتعلم اللغة العربية .. ولهذا جئت الى هنا ، الا ان الوقت الآن قد تأخر .. !!

واستطعت أن أرى انه على حق . ان الوقت متأخر فعلا . واذ رقد هو على ظهر مقعده فاقد

الأنفاس بعد أن تكلم حتى هذا المدى ، فقد اصبحت شفتاه بيضاوين .. كما كانت علامات الموت تبدو واضحة على وجهه .. !

واخيرا تكلم من جديد ..

ـ انى أسألك أن تتولى امر ابنى « ليو » عندما أموت .. وعلى هذه الورقة كتبت الأشياء التي أحب ابنى « ليو » أن يتعلمها .. وعندما يصل الخامسة والعشرين من العمر ، افتح هذا الصندوق .. دعه يرى ما فيه ويقراه وأن يقرر ما اذا كان على استعداد للقيام بالواجب الملقى عليه .. هل تفعل هذا من أجلى اذن ؟ .. انى اتوسل اليك وانا على وشك الموت ان تقبل منى هذا الطلب !

ـ وكيف أستطيع ان أرفض هذا الطلب !!!

ـ وداعا يا صديقى !

قال هذا وهو يأخذ بيدىَ .. ثم خرج الى المدينة المظلمة ..

بدت قصته اغرب قصة وقعت لى وحوادثها أكثر الأشياء التى سمعت جنونا . ! ولكنه كان صديقى ولم يكن بد من أن يتولى شخص أمور هــذا الطفل الذى كان عمره خمسة أعوام فقط .

وبقيت انــا غير قادر مدة طويلة على النــوم وفكرى كله يدور حول هذا الأمر وأتساءل عما اذا كنت قد فهمت تماما ..

وبدوت كأننى كنت نائما لمدة خمس دقائق فقط عندما سمعت صوت خادمى يدعونى فقلت :

ـ ما الأمر يا « جون » ؟

سألته عندما رايت وجهه قد ابيض تماما وبدا فى عينيه أن شيئا قد اخافه فقال :

ـ ذهبت لأنادى المستر « فينسى » .. وهنــاك وجدته راقدا .. وقد مات !

(٣) ليو .. يكبر وينمو

اخـذت الصـندوق الحديـدى معى الى لندن ووضعته فى خزانة الحفظ .

ووجدت منزلا ملائما لى وللصبى فى كمبريدج . وطبعا لم ارد ان تكون فى المنزل امرأة .. لقد كان الولد اكبر سنا من ان يحتـاج الى امرأة .. وبشىء من الصعوبة وجدت رفيقا شابا اسمه « جوب » كان

اكبر أفراد عائلة تتكون من ثلاثة عشر عضوا .. وبذلك كان قد اكتسب الكثير من التجارب فى رعايته لاشقائه وشقيقاته الصغار ..

واخيرا وصل الطفل فى صحبة امراة بكت عندما تركته . كان أجمل طفل وقعت عليه عيناى . كان وجهه شديد الشبه بوجه أبيه ، وكان له نفس الشكل المتكامل وعلى راسه شعر ذهبى ناصع ، واذكر جيدا كيف وقف هناك وضوء الشمس الهابط من النافذة يلهو بشعره . كنت جالسا فى مقعدى .. وكان « جوب » واقفا فى الركن ممسكا بحصان خشبى فى يده ..

وقف الصبى ونظر الى ثم مد يده وجرى نحوى قائلا :

ـ انى احبك .. انت دميم الشكل .. ولكنك طيب القلب !

نما الطفل « ليو » وأصبح صبيا ، ثم أصبح الصبى شابا ، واذ اخذ ينمو فقد نما معه جماله ونمت

فوتـه ، واتبعت بحرص ودقـة أوامر والده حـول مدرسته وتعليمه . تعلم اليونانية والعربية ، وتعلمت انـا أيضا العربية حتى أصبح رفيقا له .. وعندما وصل الثامنة عشرة من العمر ذهب الى الجامعة وبعد ذلك درس القانون ..

كان أمامي شيء واحد اتعبني فيه « ليو » اثناء كل هـذا الوقت ، ذلك أن كل امراة راتـه وقعت فى حبه .. وسبب لنا هذا بعض المصاعب الا انه ، على أى الأحوال ، كان شابا طيبا جـدا ، أكثر اهتمـاما بالرياضة ودروسـه ورفاقه الرجال منه بالنسـاء .. فكان كل شيء فى النهاية خيرا وعلى ما يرام .. وهكذا حتى احتفلنا بعيد ميلاده الخامس والعشرين ..

(٤) فتح الصندوق الحديدى

فى اليوم السـابق على عيـد الميـلاد الخـامس والعشرين ، ذهبنا الى لندن وعدنا بالصـندوق الى كمبريدج .. وقررنا أن نفتحه بعد الإفطار غداة اليوم التالى على يوم ميلاده .

وعلى ذلك فانه بعد الافطار أحضر « جوب »

الصندوق الى غرفة الجلوس وكان على وشـك مغادرة الحجرة فقلت « انتظر لحظة » يا ((جوب)) .. اذا لم يكن يضيرك هذا يا ((ليو)) فانى أحب أن يبقى ((جوب)) معنا . يجب أن يكون هناك شخص ثالث ليرى ان كل شيء صحيح ..

قال ((ليو)) : نعم بالطبع دعه يبقى معنا !

أخذت المفاتيح التى اعطانيها أبو ((ليو)) ليـلة موته ، من هـذا الصـندوق الذى يحتوى على أثمن المملوكات .. كان هناك ثلاثة مفاتيح ، واحد منهـا حديث والثانى من طراز قديم .. أما الثالث فلم يكن يشبه أبدا مفتاحا رأيته من قبل .. كان قضيبا من الفضـة بقطعات على طرفه ومثبتا عرضيا بقضيب فضى آخر .

اخذت المفتاح الأول وفتحت الصندوق الحديدى وساعدنى ((ليو)) على ازاحة الغطـاء الثقيل .. وفى داخله كان هنـاك صندوق آخر مصنوع من الخشب

الأسود . وكان عمره فيما يبدو كبيرا ذلك أن الخشب الجاف الثقيل قد تآكل وتحول الى تراب ..

واخـذت المفتـاح الثـانى وفتحت الصـندوق الأسود وبداخله كان يوجد صندوق فضى يبلغ حجمه اثنتى عشرة بوصة وارتفاعه ثمانى بوصـات . وكان مغطى برسوم مصرية قديمة ومنحوتا نحتـا جميـلا من المعدن . أخذته ووضعته على المنضدة ثم فتحته بالمفتاح الفضى الغريب الشكل .

داخل الصندوق الفضى كانت هناك قطعـة من الورق مكتوبة بخط صديقى المتوفى يقول : الى ولدى « ليو » .. وبعد ذلك تناولت لفافة من الورق كتب على فمتها : الترجمة الانجليزية للكتابة الاغريقية على الابريق ..

وتحت هذا كان هناك شيء مربوط فى قطعـة من قماش أصفر . فتحت قطعة القماش ووجدت فى داخلها قطعة محطمة من ابريق كبير . وفى داخل هذه القطعة المحطمة رأيت كتابة كثيرة . وتمت الكتابة بأيد

عديدة مختلفة وبلغات متباينة ولكن الجزء الخارجى قد غطى بقدر كبير من الكتابة المتزاحمة وكلها بلغة اعرف انها الاغريقية .. وفى وقت ما انكسر وتحطم الى قطعتين ثم ضما معا مرة ثانية ..

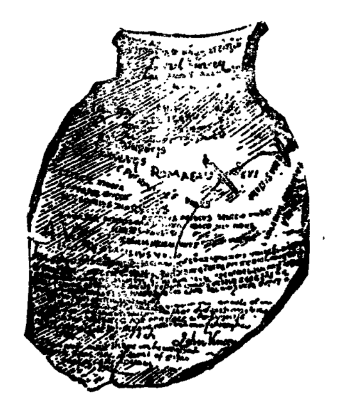
سأل « ليو » : هل هناك شيء آخر ؟

وتحسست قاع الصندوق وجذبت شيئا ثقيلا جافا موضوعا فى حقيبة . وعثرنا على خاتم مزين بحجر كبير داكن اللون وعلى الحجر ثلاثة رسوم محفورة عليه ..

كانت هذا الرسوم كتابة مصرية معناها « ابن رع » ، و « رع » هو اله الشمس . وفى نفس الحقيبة كانت صورة أم « ليو » الاغريقية قد كتب خلفها : « زوجتى العزيزة » .

وقلت : هذا كل شيء » !

وضع « ليو » صورة امه وقال : « فلنقرا الخطاب » !



الكتابات على القدر ..



الكتابات على الخاتم ..

« ولدى ليو ..

عندما تفتح هـذا الخطاب سـتكون قد بلغت الخامسة والعشرين .. وسأكون أنـا قد بلغنى الموت ونسينى كل من عرفونى .. وسيكون « هوللى » قـد أخبرك بالقليل عن تاريخ الأسرة المـاضى . وفى هـذا الصندوق ستجد قصة جد غريبة كتبتها مرة منذ وقت طويل على قطعـة محطمة من ابريق اغريقى .. اخبرنى ابى بهذه القصة عندما كنت فى التاسعة عشرة من عمرى وخرجت استقصى لأكتشف ما اذا كانت القصة واقعية . وذهبت الى ساحل افريقيا ، شمال مصب نهر زامبيزى .. انهـا جزء معروف للقـلائل ولا يزورها احد تقريبا وفيها تبدو صخرة كبيرة تشبه راس رجل افريقى . ومثل هـذا التل موصوف فى الكتابة الموجودة على الابريق ..

وصلت الى هناك وقابلت رجلا طرده أهله بسبب خطـأ ارتكبه وقال لى :

ـ بعيدا هناك داخل الديار يوجد بلد فيه جبال شكلها كالأكواب .. وهناك عدد من الكهوف الكبيرة ..

وحول هذه البلاد توجد أرض منخفضة تبتلع الرجال الذين يحاولون عبورها .. الا اذا كانوا يعرفون ما فيها من ممرات آمنة . وفى تلك الجبال والكهوف يعيش شعب يتكلم العربية وتحكمه امراة بيضاء جميلة ولا يرونها الا نادرا وهى ذات سلطان كامل ، على كل الناس والأشياء ، الحى منها والميت .. !

كان الرجل مريضا جدا عندما قال لى هذا .. ومات بعد يومين ، وسقطت انا أيضا مريضا .. واضطررت الى العودة الى سفينتى .. وفى طريق عودتى الى انجلترا وقفت باليونان .. وهناك التقيت بوالدتك ..

اعتقد أن هذه القصة مكتوبة على ابريق محطم . وهى قصة حقيقية .. واعتقد كذلك أن هناك طريقة يمكن بها أن نجعل شعبا يعيش ويعيش .. الى الأبد .. !

قد تظن أن هذه القصة ان هى الا خرافة شخص مجنون ، وقد تظن أنه (حتى اذا كانت

حقيقية) فانه ليس من الحكمة أن تكون على صـلة بمثل هذه القوى العجيبة .

اذا رأيت هذا الرأى فما عليك الا أن تدمر هذه الأوراق وأن تدمر ما على الابريق من كتابـة .. ! ولا تدع أطفالك وأطفال أطفالهم تزعجهم بعد الآن تلك القصـة الخطرة الحمقاء . أوقد ترغب ــ كما رغبت أنا ــ أن تعرف ما اذا كانت القصة واقعية . أم لا .. وقد تقرر أن تذهب وأن ترى بنفسك .. لك أن تختار وداعـا .. !

قـال « ليو » : حسـنا .. مـاذا تظن أنت يا « هوللى » ؟

ــ اظن أن أباك كان مجنونا . ظننت هـذا منذ عشرين عاما عندما جاء الى غرفتى بهذا الصندوق !

قال « جوب » : انه مجنون حقا !

ــ حسـنا . فلننظر ماذا تقول الكتابـة على الابريق ..

واخذ « **ليو** » النسخة الانجليزية **وقرا ما يلي** :

ـ أنا « **أمينارتاس** » من عائلة فرعون .. أنا زوجة « **كاليكريتس** » .. اكتب هذا لابني الصغير الذي اسميته « **المنتقم** » .. أكتبها لأني لن البث أن اموت . عندما ذهبت انا وأبوك على ظهر مركب من مصر جئنا الى الساحل الشرقي لافريقيا . وهناك القت بنا عاصفة قرب صخرة تشبه راس رجل افريقي . فقد مات كل الرجال الذين كانوا على السفينة ، ولكن رجالا متوحشين جلبونا بعد رحلة عشرة ايام الى أن وصلنا الى جبل حيث كانت تظهر آثار مدينة قديمة كبيرة .. ولكن هذه المدينة العظيمة قد دمرت منذ وقت بعيد .. وداخل الجبل توجد كهوف كبيرة . وجلبنا هؤلاء الرجال الى ملكة شعب يضع رجاله القدور عدى رءوس الأجانب الغرباء .. !

هذه الملكة ساحرة وتعلم كل أسرار الحياة والجمال وهي لا تموت ابدا .. واحبت « **كاليكريتس** » وارادت ان تقتله واخذتنا الملكة الى كهف كبير ..

بعيداً تحت الأرض .. وفيه كانت « نار الحياة » ! ..
وقفت هي في قلب النار وخرجت دون ان تمسها هذه
النار بضر أو تنقص من جمالها .. ثم قالت لكاليكريتس
« اقتل زوجتك .. وهبني نفسك .. وسأبقى عليك
حيا لا تموت .. ذلك اني انــا لا أموت وستعيش
أنت الى الأبد » .. ولكنه لم يرض .. ثم غضبت
الملكة وقتلته .. ولكنها لم تستطع أن تقتلني انا لأني
أعرف سحر القوم . أرسلتني الى مصب النهر حيث
ترد السفن الكبيرة . وهكذا وصلت أثينا .. والآن
اقول لك يا ولدى ((المنتقم)) اعثر على هــذه المرأة
واكتشف سرها في الحياة .. واقتلها من اجل ابيك
((كاليكريتس)) .. واذا فشلت انت فاجعل ابنــك
يفعلهــا أو اطفال اطفالك .. حتى يأتي واحد منهم
تكون له الشجاعة أن يؤدي واجبه .

قلت : حسن يا ((ليو)) الآن تستطيع ان تقرر
ماذا تفعــل في ذلك اني أعــلم ماذا يدور في ذهني ان
الابريق والكتابة واقعيان حقيقيان .. انها اغريقيــة
قديمة ولكني اظن أن آلامها وشكواها وفقدانها زوجها

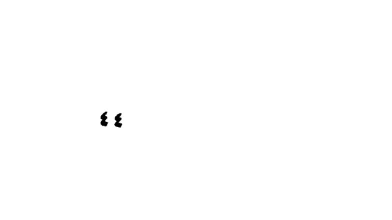
قد دفعا بالمرأة الى الجنون فكتبت هـذا .. ولكنها لم تكن كاملة الرشاد عندما كتبت هذا ..

ـ اظن انه لا توجد كلمة حق واحدة فى القصـة يا سيدى وانى لأرجو يا مستو « ليو » الا يكون لك يد فى هـذه الشئون .. انه لا يمكن أن يأتى منهـا خير .. !

وقال « ليو » : ربما كنتما على حق انتما الاثنان ولكنى اقول هـذا : ساقوم انا بحل هذه المشكلة .. فاذا لم تكن صادقـة ساكون اذن قـد انهيتهـا .. ووضعت خاتمة لها وتوقف . ثم قال : اذا لم تجيئا معى فسأذهب وحدى ..

فقلت انا : حسن .. حسن .. انا فى حاجـة الى عطلة وسنحصل اذن على صيد جيد .. !

وبعد ثلاثة اشهر كنا فى طريقنا الى زنجبار ..



(٥) عاصفة فى البحـر

حصـلنا على مركب عربى عبـارة عن سـفينة شراعية كما تبدو فى الصورة ، ووراءها قارب كنا قد جلبناه معنا من انجلترا .. وكان لهذا القارب حافظات هوائية مبنية فيه ومن شأنها ان تجعله طافيا حتى اذا امتلأ بالمـاء . وكان هنـاك أيضـا صناديق للغـذاء والمؤن .

كنا نبحر جنوبا بحذاء الساحل الشرقى لافريقيا ، وكانت الأرض تمتد الي يدنا اليمنى . وملأت الشراع ريح رقيقة . وكان البحر لطيفا تخرج منه موسيقى هادئة حانية . وفوقنا كان القمر وكان الليل صافيا يسمع فيه أدنى صوت ..

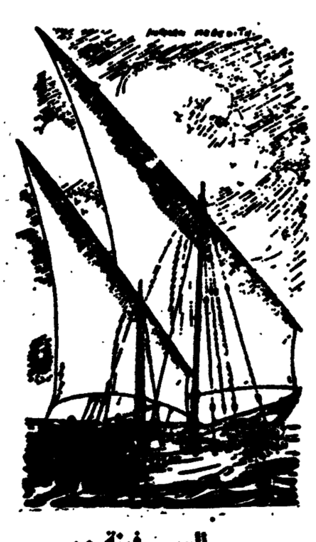
وكان يقود السفينة عربى اسمه « **محمود** » . **وفجاة رفع يده وقال** : اسمعوا . !

وجاءنا صوت بطىء عميق فوق المياه ..

قال محمود : هذا اسد !

قلت : غدا حوالى العاشرة مساء سنكون قادرين على رؤية هذا التل الذى يشبه راس انسان .. هكذا يقول لى القبطان .

قال « ليو » : لقد كنت أجرب عربيتى معه .. لقد كان يشتغل بالتجارة فى هذا الجزء من افريقيا طول حياته . سألته ان كان يعرف شيئا عن المدينة المخربة والكهوف ..



السـفينة ..

وسألت انا : وهل يعرف ؟

ـ كلا .. انه يقول ان البلاد فيما وراء خط الساحل منخفضة رطبة غير صحية ومليئة بالثعابين .. !

ـ ما هذه السحب ؟ !

قالها « ليو » موجها الحديث الى محمود مشيرا الى كتلة سوداء على طرف السماء ..

ـ هذه ؟ .. انها عاصفة .. عاصفة صغيرة ستمر بجانب السفينة !

وعند ذاك جاء « جوب » وقد لونت الشمس بشرته وبدا انجليزيا جدا ، وقال :

ـ سيدى لقد وضعت كل البنادق والمخزونات فى السفينة عند المؤخرة بحيث تكون جاهزة للرحلة أعلى النهر .. والقبطان يقول اننا سنكون هناك فى وقت مبكر من صباح غد .. الا اننى يا سيدى لا أثق فى هؤلاء الرجال ولذلك فانى سأنام ليلتى فى القارب.. اذا وافقت يا سيدى على ذلك .

ووافقت .. وكان الوقت يتقدم .. وبذلك فاننى انـا و « ليو » رقدنا لننام .

وكان الشىء التـالى الذى عرفته هو سـماع صوت رهيب تحدثه الريح القوية .. ثم صرخة فزع من الرجال .. وقفزت من مكانى وامسكت بحبل . وكانت السماء سوداء فوقنا ولكن كان القمر لا يزال يضىء امامنا . ورايت بضـوئه موجة كبيرة ارتفاعها يبلغ نحو عشرين قدما . واستطعت ان أرى الميـاه البيضاء على تاجها ؛ وجاءت مندفعة الى الأمام ثم غرق كل شىء فى ضوضاء المـاء .

ومرت الموجة .. وبعد ذلك رايت شراع السفينة يطير بعيدا كأنه سحابة تدفعها ريح وسمعت صـوت « جوب » يصيح قائلا :

ــ هنا يا سيدى .. تعال هنا فى السفينة .

وكانت السفينة مليئة بالمـاء . ورايت محمود يقفز الى سطحها وقفزت انا الآخر وجذبنى محمود

من ذراعى الى الداخل وقطع الحبل بمطواته عندما بدأت تتحرك ..

وصرخت انا فجــاة : اين « ليو » .. ؟ ! .. « ليو » ! .. « ليو » .. ؟

قال « جوب » : لقد ضــاع يا سيدى . !! .. انظر .. ها هى ذى موجة أخرى تهجم علينا ..

كان القمر الآن يكاد يختفى . الا اننى رايت فى ضوئه الخافت الموجــة القادمة .. وفيها شىء داكن اللون . كانت فوقنــا . وكانت السفينة تكاد تمتلىء بالمياه.ولكن حافظاتها الهوائية كانت تمسك بها وتجعلها عائمة على سطح المياه . وبدأ الشىء الداكن يأتى نحونا مبــاشرة . ومددت ذراعى لأحمر نفسى منه ، الا ان يدى أطبقت على يد أخرى .. وامسكتنى اليد !! وانــا طبعا رجــل قوى .. وكانت السفينة تسند جانبى الا انى شعرت بأن ذراعى يكاد ينخلع منى خلعــا !! ولو دام اندفــاع المــاء أطول من هذا فلابد أن اترك نفسى تذهب ضائعة ولكن الموجة مرت .. !



العاصـــفة ..

ولاح آخر اضواء القمر قبل ان يغطيه الظلام تماما فاضاء لنا وجه الرجل الذى تعلق بى .. لقد كان « ليو » ! « ليو » يجىء الى ثانية ، حيا او ميتا . بهذه الموجة الثانية .. !!

كان كل من « جوب » و « محمود » يشتغلان بحمية يزيحان الماء من قاع المركب . وانضممت اليهما سريعا . واخذ ثلاثتنا يعملون لانقاذ حياتهم وكلنت العاصفة تجتاحنا من جميع النواحى . ثم سمعنا صوت الريح العميق وارتفعت فوق صوت الريح والمطر أصوات الموجات ترتطم على الصخور ..

وصعد القمر ثانية ثم بدا على بعد نصف ميل امامنا خط ابيض من الماء المقطع المتقاطع ، ووراءه خط ابيض ثان وازداد الصوت وضوحا وقوة .

صحت قائلا : اذهب وخذ قيادة المركب يا « محمود » .. يجب ان نخرج من هذه العاصفة !

جلست انا و « جوب » مستعدين لتجديف ودفعتنا الريح والمياه الى الأمام .

وكان هناك مكان واحد حيث بدا الخيط الأبيض ارفع ، فاشرت اليه :

ـ قدنا الى هنا يا « محمود » !

رايته يجلب بكل قوته لادارة القارب فى هـذا الاتجاه .. وجذفت أنا و « جوب » بكل قوتنا . وكنا الآن فى وسطها وانقذف المـاء المكسـور عاليـا فوق رءوسنا وجاءتنا موجة من ورائنا . رفعتنا والقتنا فى مياه اكثر هدوءا ..

واصبح القارب مليئا الآن بالمـاء . وعلى بعد نصف ميل أمامنا كان الخط الأبيض الثـانى ولكن العاصفة كانت الآن أكثر هدوءا ..

نظرت الى « ليو » كانت عيناه مفتوحتين ولكننا كنا الآن مدفوعين نحو الخط الثانى من الصخور .. وجاءت صرخة « محمود » .. وصلاة استنجاد من « جوب » .. ودفعتنا الميـاه امامها وخلفهـا وسط موجاتها المتكسرة ..

وكانت العاصفة قد انتهت الآن تقريبا ..
واصبحت السماء صافية .. واخذ ضوء القمر
الأبيض يسطع فوق البر والبحر .. ونظرت الى
أعلى .. الى الصخرة الكبيرة الماثلة أمامنا فى
البحر .. واضاء القمر من ورائنا بحيث وقفت
الصخرة سوداء مقابل السماء ..

وكانت الصخرة على شكل راس رجل
افريقى .. !؟



الصخرة المنحوتة على شكل رجل افريقى

(٦) بعض الصدق فى القصة

طلع ضوء النهار اخيرا...

وجلست هنـاك فى القـارب أستمع الى همس المياه الرقيق . وكلما نظرت الى التل المـائل فى البحر، رايت الصخرة الغريبـة الشكل ، يحيط اطرافهـا وهج الشروق .. لم يكن هناك شـك فى شأنها !!!

كانت هناك أنف الراس ، وكانت هناك العيون ، وكان هناك الفم .. الشكل الكامل للراس !!

الا اننى لم اكن ابدا مستطيعا ان اكتشف ما اذا كان شكلها هـذا من صنع يد انسانية ، أم أنها كانت حادثة من حوادث الطبيعة ، ولكنها كانت قائمـة هناك امام البحر تماما كما راتهـا « آمينارتاس » الامـيرة المصرية منذ الفى عام .

سالت : حسـن .. ما رايـك فى هـذا يا « جوب » .. ؟

ورآها « جوب » للمرة الأولى فقال : يا لله !!

وايقظت « ليو » الذى بادر وسالنى :

ـ ولكن أين القارب ؟ ماذا حدث ؟

ـ فقدنا القارب وفقدنا كل من كان عليـه من رجال ما عدانا نحن الأربعة .

ونظرت الى « ليو » وقلت :

ـ وانت نجوت باعجوبة !!

ونظر « ليو » امامه وقال صارخا :

ـ ماذا ؟! .. هذا هو الراس الافريقى !! واذن فالأمر كله حقيقى !!

فاجبتـه :

ـ لا اوافق على هذا . علما بان هذه الراس قد كانت هنا .. والدك رآها ! .. ولكنهـا قد لا تكون كتلك الرأس التى تتحدث عنها الكتابة .. حتى اذا كانت هى نفس الراس فان هذا لا يثبت شـيئا .. لا يثبت أن بقية القصة كلها حقيقية .

فقال « ليو » :

ـ انت شخص غير قابل للاقناع او التصديق !

ـ نعم .. انـا فعـلا غير مقتنع .. وانت الآن ستلاحظ ان قاربنا محمول الى شط رملى فى مصـب النهر .. ويجب ان نجـدف وان نحـاول أن نجـد مكانا يمكننا منه ان نصل الى الأرض .

وكان هناك حوالى مسافة ميل وذراع طويلة من الأرض الرملية أعلى من الأرض الباقية وذات جوانب محورة . وسريعا ما وصلنا اليها ونزلنا الى البر .. ثم غسلنا أنفسنا ونشرنا ملابسنا وتركناها تجف .. ثم أحضر « جوب » شيئا من الطعام لافطارنا .

وبعد الافطار نظرنا لنتأمل ما حولنا فوجدنا مساحة من الأرض يبلغ طولها حوالى خمسمائة ياردة بينما لا يزيد عرضها من مائة ، تعلو عن سطح الأراضى المنخفضة وراءها حوالى خمسة وعشرين قدما .

قال « ليو » : هذا مكان بناه الناس بأيديهم .. كما جاءت هنا سفن كبيرة ..

قلت : لا تكن احمق .. ! .. من ذا الذى يبنى مكانا مثل هذا فى أرض واطئة وفى بلد لا تعيش فيه الا شعوب متوحشة .. هذا اذا كانوا يعيشون فيه على الاطلاق ربما لم تكن دائما هكذا ، وربما كانت هذه الأراضى المنخفضة جافة فى قديم الزمان .

قال « ليو » : انظر هناك !

مشيرا الى شجرة اقتلعتهـا العاصفة وانتزعت جذورها المقلوبة من الأرض تاركة وراءها حفرة كبيرة.

ـ اليس هذا عملا حجريا فى قاع الحفرة ؟ !

تسلقت هابطا الحفرة .. وهناك فى قاعها كانت احجار كبيرة مبنية الى جوار بعضها البعض .. وكانت وجوه الأحجار مسطحة بدقة وعناية واستطعت ان ارى فوقها العلامات التى تبين اين قطعت . وحفرت فى التربة بيدى ووجدت خاتما معدنيا كبيرا جدا .. كان عرضـــه حوالى قدم كامل بينما يبلغ سمكه نحو ثلاث بوصات ..

ـ يبدو ان سفنا كبيرة جدا قد جاءت هنا ..

قال « ليو » هذا وهو يرقبنى .. ولم استطع انـا ان اجيب . ربما كانت هذه الأرض جافة فى يوم ما .. وربما قامت هنا مدينة عظيمة قديمة !

قال « ليو » : يبدو ان هنـــاك بعض الحـــق فى القصـــة .. الا يبدو لك ذلك واضحا ! ؟

نظرت حولى فوق الأرض المنخفضة ، وامتدت هـذه الى أبعد مما ترى العين .. كانت الشـمس تسكب الآن مزيدا من الحـرارة . وانتشـر حولها قناع خفيف من البخار ..

قـلت : هناك ثلاثة إشياء تبدو واضحة لى .. انه من الواضح اننا لا نستطيع أن نعبرها (واشرت الى الأرض الواقعة خلفنا) .. وثانيا فانه من الواضح اننا لا نستطيع أن نبقى هنا لأننا اذا بقينا فسنموت مصابين بالملاريا .. وهـكذا فانه من الواضح لى ؛ ثالثـا ، أنه ينبغى علينـا اما أن نخرج الى البحر فى القارب وأن نصل الى مكان بحـذاء الساحل أو أن نصعد النهر ونرى اين وصلنا ..

قال ((ليو)) : لست أدرى ماذا ستفعلون ولكننى سأذهب الى النهر ! .

قال ((جوب)) : فليعيننا الله ! .

وقال ((محمود)) : نفس الشىء باللغة العربية !

(٧) صعودا مع النهر

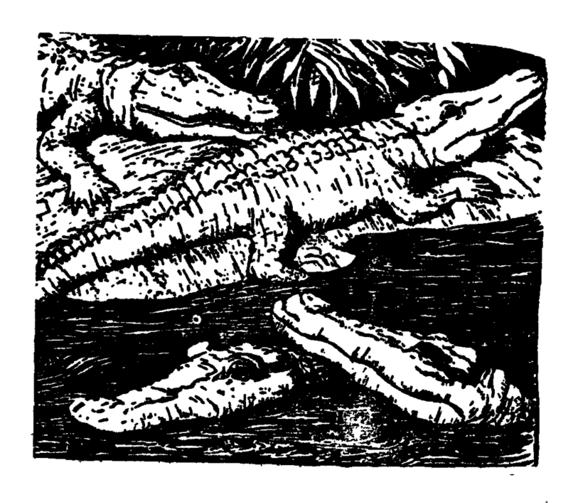
كانت الريح تهب نحــو الأرض من البحــر .. ورفعنا الشراع وسرنا ساعات بجذاء الشاطىء وبسرعة طيبة .. ورأينــا عــددا من التماســيح راقدة فوق الشاطىء أو تطل عيونها فوق المــاء ..

وفى منتصف النهار هبطت الريح وأصبح الجــو

شـديد الحرارة ، وذهبنا نستظل ببعض الأشـجار ورقدنا حتى غربت الشمس ثم جدفنـا أمامنا حتى وصلنا الى بعض من المـاء المكشوف فى بحيرة صغيرة ، حيث نوينا أن نبقى الليل .. وعند الغروب جاءت بعض الظبيان المـائية تشرب من النهر .. ولم نكن نعلم كم طالت رحلتنا أو حتى متى سيبقى لدينـا من طعام وبذلك أخذ « ليو » بندقيتـه ورأيته واقفـا ببندقيته فى مواجهة السماء . وفى المقدمة لمحت ظبى المـاء مطأطئا رأسه يشرب .. ! وفى الغرب كانت كرة الشمس الغاربـة الحمراء والسـماء ممتلئة بأسراب البط البرى عائدة الى أوطانها خلال الضوء الذهبى ، وكل شىء فيما حولنا عبارة عن مياه هادئة وحشائش طويلة .. وكنا ثلاثة من الانجليز فى قارب انجليزى .. وبدونا غرباء عن المكان .. ! وانطلقت الرصـاصة !! وقفز الظبى قفزة عظيمة !! ..

لقد أخطأ « ليو » مرماه . ثم انطلقت رصاصة ثانية !! .. وكانت هذه طلقتى أنا ..

قال « ليو » : طلقة رائعة ! وكانت طلقتى خائبة !



التماسيح ..

وخرجنـــا من المركب وأخذنا من اللحم قـــدر ما استطعنا حمله ثم جذفنا حوالى ستين ياردة من الشاطىء وتناولنا وجبة ثم حاولنا أن ننام ولكن النوم كان مستحيـــلا .. انقضت علينـــا ملايين الحشرات هبطت علينا كأنها سحابات وانهالت علينا لســـعا من خلال الملابس .. وغطينا وجوهنا ولكنها استمرت تلسعنا من خلال الأغطية !

ومضت الساعات فى هدوء ثم سمعت صـــوت أسد يمزق الصمت العميق ثم صوت أسد آخر ..

قال « ليو » : أنا سعيد لأننا لسنا على الأرض :

وبعد وقت طويل طلع القمر وسمعت « جوب » يهمس :

ـ أوه .. يا للحظ ! .. انظر هناك ! ..

كان هناك أسدان جذبتهما نحونا رائحة اللحم الطازج فجاءا يسبحان نحونا وعلى بعد خمســـة عشر قدما كان يقع الشاطىء الرملى ، وكان عمق المـــاء فوقه يتجاوز بوصات فقط . جاء الأســـد الأول الى



الظبي ..

الشاطىء الرملى ووقف واطلق عليه « ليو » النار وسقط الأسد فى الماء ميتا ! .. وكان الأسد الثانى وراءه مباشرة وفجأة نشب صراع عنيف .. انجذب الأسد الثانى الى الوراء غائصا فى الماء .

وصرخ « محمود قائلا » : انظر ! لقد قبض تمساح على رجله !

ومضى الصراع ناشبا بينهما وبدا الأسد فجأة كأنه يجذب التمساح الى البر ليسقط من جديد ..
واخيرا سقط رأس الأسد الى الأمام ورأيناه ينجذب فى الماء وكان الصمت تاما اللهم الا طنين الملايين من أصوات الحشرات .

وفى خامس أيام رحلتنا ذهبنا حوالى مائة واربعين ميلا غربا من الساحل . وفى صباح ذلك اليوم انخفضت سرعة الريح العادية حوالى الساعة الحادية عشرة . وبعد التجذيف مسافة قليلة جئنا الى مكان انقسم فيه النهر الى فرعين وخرجنا من القارب وسرنا على اقدامنا بحذاء الشاطىء الشرقى للنهر لنرى



وظهر اسد على الرمال ..

كم عمق المـاء هناك .. وبعد أن سرنا حوالى خمسين ياردة راينا انه سيكون من المستحيل أن نضع القارب فيه .. أصبح المـاء أقل فاقل حتى هبط عمقـه الى مجرد بوصات قليلة وعلى ذلك عدنا راجعين بحذاء الشاطىء الآخر ، الشاطىء الغربى ..

كان من الواضح أن هذا النهر ليس طبيعيا ولكنه ممر مائى من صنع الانسان . كان شاطئاه عاليين حيث رفعت الأرض من مكانها أثناء الحفر ومضى الشاطئان فى خط واحد مستقيم نحو غاية معروفة . وبدا المـاء فيه كأنه لا يتحرك البتة وكان النبات فيه شـديد الكثافـة ..

قال « ليو » : اظن ان هذا النهر المـائى قد حفر لجلب السفن الى مدينة داخلية قديمة ..

قـلت : يجب أن نذهب الى هناك أو أن نعود الى البحر اذ لا يمكننا أن نبقى هنا حيث نحن فتأكلنا الحشرات !

انتظرنا حتى انخفضت الشمس ولم تكن هناك ريح وظللنا نجدف فى الساعة الأولى ، فكان عملا عظيم المشقة . ثم أصبحت النباتات شديدة الكثافة حتى اضطر اثنان منا أن يخرجا فيدفعا القارب بينما بقى الثالث يتولى زمامه وجلس الرابع فى المقدمة ودفع بالنباتات بعيدا وهى تتكوم أمام مقدمة القارب ..

لن أصف الأيام الأربعة التالية من رحلتنا . كانت أشقى الأيام فى حياتى وكانت اياما لا تنتهى من العمل والحرارة والحشرات ..

وفى اليوم الثالث رأينا ، على مبعدة ، تلا مستديرا لا يكاد يظهر لشدة بعده .. وفى الليلة الرابعة بدا هذا التل أنه على بعد ثلاثين ميلا منا ..

كنا الآن قد انتهينا وكانت أيدينا قد تشققت وغطتها الدماء . وشعرنا اننا لا نستطيع أن نجذب القارب ياردة أخرى وان افضل شىء هو أن نرقد ونموت هناك فى هذه الفيافى المائية .. وعندئذ القيت بنفسى

فى القارب لعنت حماقتى لانضمامى هكذا الى رحــلة مجنونة بهذا الشكل يمكن أن تنتهى بموتنا جميعا . وعندما نمت حلمت بالقارب وبما سيكون عليه شكله فى ثلاثة اشهر من الآن : نصفه ممتلىء بمياه كريهــة الرائحة ترقد فيه جثث متآكلة لأربعتنا .. وبدوت انى أرى جثة محمود هناك أمامى بعينيها المفتحتين تنظران الى دوما كما لو كنت وحدى الذى يلام .. !

استيقظت أهتز من الخوف على اثر هــذا الحلم الفظيع . وعندئذ رايت شيئا لم يكن حلما . عينان كبيرتان كانتا تنظران نحوى من خلال الظلام . وقفت وصرخت ثانيــة وثانيــة بحيث قفز الآخرون واقفين وجلسوا هناك يهتزون من الخوف الشديد وما زالوا نصف نائمين .

رايت ضوء القمر يضىء راس حربة مصوبة الى قلبى !

قال الرجل بالعربيــة : من انتم أيها الرجــال

الذين جاءوا سابحين فى المـاء .. تكلموا .. تكلموا والا كنتم من الموتى ؟ !

ولكنها كانت لغة عربية من نوع خاص لم اكـد افهمها ..

قلت بافضل ما لدى من عربية : نحن رحالة ! جئنا هنا بالمصادفة !

أدار الرجل راسه ، وسـال رجـلا طويلا جدا واقفا خلفه : يا أبى .. هل نقتلهم .. ؟!

(٨) شـعب الأحجـار

سال حامل الرمح : يا ابى .. هل نقتلهم ؟

– من هم ؟

– ثلاثة رجال بيض وواحد اسمر البشرة !

قال الرجل طويل القامة : لا تقتل .. منذ اربعة أيام كلمتنى تلك التى ينبغى ان تطاع وقالت اذا جاء

رجال بيض فلا تقتلوهم .. هاتوهم الى هـذا المنزل واجلبوا كل الأشياء التى معهم !

قال الرجل حامل الرمح : تعالوا .. تعالوا !

وسحبونا من القارب . وعلى الشـاطىء كانت هناك جماعة من حوالى خمسـين رجـلا .. وكلهم يحملون حرابا طويلة وكانوا طوالا جدا وكانوا أقوياء . وكان جلدهم فاتح اللون ولم يكن على أبدانهم ملابس ، مجرد جلد أسد فى الوسط ..

قال الرجل الطويل القامة : احضروا المقاعد !

وجاء الرجال جارين نحونا بالمقاعد . وكان كل مقعد يحمله أربعة رجال وكان هنـاك رجلان اثنـان آخران حتى يتم تناوب العمل ..

قال « ليو » : حسنا .. من الأفضـل ان يجد المرء اناسا ليحملونا بعد أن حملنا أنفسنا هذه المسافة الطويلة ..

بدا « ليو » وكانه ياخذ دائما الجانب الحسن من الأمور .

وما ان جلسنا فى المقاعد حتى بدأ الحمالون .. وارتفعت عقائرهم بالغناء عندما بدات اقـدامهم المشى وسريعا ما دفعتنى الحركة والغناء الى النوم .

وعنـدما استيقظت كانت الشـمس عاليـة فى السماء . وكنا ما نزال نرحل بسرعة حوالى اربعـة اميـال فى السـاعة .. كنـا قد خرجنـا من الأراضى المنخفضة . وكنـا نتحرك فوق واد يتجـه الى تـل بعيـد !

نظرت الى الرجال الذين كانوا يحملوننا . كانوا رجالا حسنى المظهر ذوى جمـال على نحو ما ولكن وجوههم كانت مليئة بالشر . لم يبتسموا ابدا . ولم يضحكوا ابدا . واحيانا كانوا ينشدون بعض الأغنيات ولكنهم يظلون صـامتين عندما لا يغنون . ولأمر ما ملأنى منظرهم خوفا .

كنت لا ازال اتساءل من أين أتوا ؟ .. عندما حمل كرسى الى جانب يدى اليمنى وفيه جلس رجل عجوز يرتدى ثوبا اصفر اللون يكاد يشبه ذلك الذى وجدته فى الصندوق الحديدى . قررت انه لابد أن يكون هو الرجل الذى نادوه بالأب . كان رجلا رائع المنظر بذقن بيضاء وعينين وامضتين حليمتين .

قال بصوت خفيض عميق : واذن فانت متيقظ اخيرا أيها الرجل الغريب !

فاجبته بادب بالعربية : نعم يا ابى . صباح الخير عليك .

ابتسم وقال : لا أدرى من اين اتيتم ولكنها بلد تعرف شيئا عن لغتنا وهم يعلمون الأدب . ولكن لماذا جئتم الى هذه البلاد حيث لم يحضر غريب منذ أمد طويل !

اجبت : لقد جئنا لنجد اشياء جديدة . لقد تعبنا من الأشياء القديمة نحن شعب شجاع لا نخشى

الموت .. اذا استطعنا ان نعلم شيئا جديدا قبل أن نموت !

قال السيد العجوز : حسن . قد يكون هـذا حقا . انى أتوقع ان « تلك التى ينبغى ان تطـاع » ستكون قادرة على تحقيق رغبتكم .

سـألت : من هى تلك ـ التى ـ ينبغى ـ ان تطـاع ؟ !

فضحـك ضحـكة غير سـارة على الاطـلاق ، **وقـال** :

ـ سريعا ما تعرفون هـذا . اذا رغبت « هى » ان تراكم بينما تزالون أحياء .

سألته : ما اسم شعبكم ؟ !

ـ نحن شعب المتحجرين .. شعب الصخور..!

ـ هل لى أن اسألك عن اسمك ؟ !

ـ اسمى بلال .

ـ واين نحن ذاهبون ؟ !

ـ سنرى !

واخبر رجـاله ان يحملوه اماما الى حيث كان « جوب » جالسا فى كرسيه بقدم مدلاة من ناحيـة جانب المقعد ..

(٩) الراحة فى الكهف

نمت ثانيـــة ، وعنـــدما كنا نمر بين الحـــائطين الصخريين استدرنا حول ركن وظهر امـــامى منظر جميل . رايت واديا كبيرا عرضـــه يبلغ حوالى خمسة اميال . وكانت الجوانب صخرية بأعشاب تنمو عليها . ولكن المركـــز فيه كان الحشـــيش الغنى الأخضر مع اشجار رائعة قائمة هنا وهناك ومجار قليلة تسرى

عبرها . وفوق هذا الوادى الغنى رأيت أبقارا كثيرة وحيوانات أخرى . كان هنـاك رجـال يتحركون بين الحيوانات ولكنى لم أر علامات تدل على مساكن .. أين يعيش هؤلاء الناس ؟ !

درنا نحو اليسار وذهبنا بحذاء جانب الوادى لمسافة نصف ميل ثم وقفنا .. نزل الرجل العجوز « بلال » من كرسيه وفعلت مثـله وعند ذلك رأيت « محمود » المسكين نائما على الأرض لم يعط كرسـيا ولكنه أجبر على الجرى حول الطريق كنا توقفنا على ارض مستوية أمام فوهة الكهف . وضعت كل الأشياء التى جلبت وحول المكان وقف الرجـال الذين حملونا ورجال آخرون من نفس الطراز . وكان هنـاك أيضا بعض النسـاء . ولم يكن يرتدين جلود الأسـود مثل الرجال ولكن جلود الظباء وارتدى بعضهن قماشـا اصفر مثل ذلك الذى وجدناه فى الصندوق .. ذلك اللون الأصفر كان علامـة المركز . اكتشـفت هـذا فيما بعد ..

عندما نزل « ليو » من كرسـيه ابدى النـاس

اهتمامهم الكبير وخاصــة عندما خلع قبعتــه وراوا شعره الأصفر .

وبين الجمهور كانت هنــاك امراة ذات تقاطيع بالغة الروعة .. وكانت مرتدية ثوبا أخضر .. كان جلدها ذهبيا فاتحا وشعرها بنيا . نظرت الى « ليو » بحرص من راســه الى قدمه وبعد أن قامت بهــذه الدراسة الحريصة الدقيقة تقدمت الى الأمام ووضعت ذراعها حول رقبة « ليو » وقبلت يده .

توقعت أن يندفع الرجال على « ليو » ويطعنونه بالحــراب .

قال ((جوب)) : يا لها من امراة لا تخجل !

بدا «ليو » مندهشــا بعض الشيء وظن أنهــا عادة « غريبة » من عادات البلاد فرد التحية بمثلها .

ومرة ثانية توقعت حدوث شيء . بدت بعض النساء الصغيرات الشابات على شيء من الغضب ، وابتسمت بعض النساء الكبيرات . وبعد ذلك علمت

وفهمت معنى ذلك بين أفراد شعب المتحجرين النساء والرجال على السواء فالنساء والرجال هنا سواسية والنساء تختار أزواجهن بتحيتهم على هذا النحو واذا رد الرجال بهذه الطريقة فان هذا معناه أنهم يوافقون .

اسم هذه المراة الشابة هو « أوستين » وهكذا فان « أوستين » قد اختارت « ليو » زوجا لها وكما بدا لها أن « ليو » قد وافق .

رايت امراة لم تكن شابة بعد تحركت نحو « جوب » .وكان « جوب » يبدو خائفا ولكن « بلال » تقدم حينئذ وقادنا الى الكهف . وكان الكهف يبدو طوله نحو مائة قدم وخمسين قدما عرضا .. تمر منه ممرات عديدة . وكان واضحا أنه لم يكن كهفا طبيعيا ولكنه بنى بيد انسان .

كانت تشتعل فى وسطه نار كبيرة تلقى أشباحا عريضة على الجدران والسقف . وقادنا « بلال » الى النار وجعلنا نجلس على جلود هناك جاهزة لنا .

وجلبت فتيات صغيرات الطعام لنا ـ لحما وقمحا ولبنا . وكنا فى شدة الجوع وبعد الوجبة **وقف « بلال » وتكلم :**

ـ هذا شىء جميل هذا الذى حدث . لم يأت ابدا غريب أبيض البشرة الى هذه البلاد قبل الآن . وفى بعض الأحيان جاء افراد قليلون آخرون الى هنا . ولكنهم جميعا قتلوا . لقد رأوكم تجذبون قاربكم على طول الطريق العتيق وأمرت أن يتم قتلكم ولكن رسالة جاءت منها « **هى** » !

فسألت : هى ؟ !

الاسم الكامل هو : « هى ـ التى يجب ان تطاع » ولكن اسمها الصغير : « هى » يجب ان اذهب الآن لأعرف المزيد من أوامرها !

وسألت : وكم من الوقت ستبقى بعيدا ؟ !

ـ سأعود فى اليوم الخامس !

ـ واذن فهى تعيش على مسافة تزيد قليلا على يومين من هنا .. ولكن كيف عرفت بوجودنا هنا ؟

ابتسم « بلال » ونظر حوله ليرى أن ليس هناك احد من الآخرين قربنا ثم قال بهدوء : اليس من احد فى بـلادكم يســتطيع أن يرى بدون عيـون ويســمع بلا اذان ؟ لا تلق على اسئلة .. انها تعرف !

ومضى قـائلا : ســأعود فى اليوم الخـامس . وسيفعلون كل شيء من أجل راحتكم بينما أنا غائب . وآمل ان تفكر بعطف فى شأنكم وسأتحدث انـا مدافعا عنكم لأنتى أحبكم . ولكنى لا أعطيكم الا قليلا من الأمل كل أجنبى جاء هنا الى هـذه البلاد أثناء حياتى واثناء حياة ابى وجدى وجد جدى قد قتل . قتلوا جميعا على نحو كريه بغيض لن أصفه وهى التى كانت دائما تعطى الأمر بقتلهم .. أو تأذن بذلك .

قـلت : لست أفهم .. انت رجل كبير مسن .. كيف تستطيع هى أن تعطى الأمر بان يقتل رجـل واحد ، فى وقت جد جدك ؟

وابتسم « بلال » من جديد ثانية .. ومضى بعيدا دون ان يتفوه بأية اجابة .

(١٠) الأيام الأربعة الأولى

عينوا لنا رجلا دميم الخلقة فى الأربعين من عمره وليا على أمرنا وانبأناه أننا نريد أن نستحم وقادنا الى مجرى مائى . وعندما عدنا كانت الشمس قد غربت وكان الكهف مليئا بالناس يجلسون حول النار ويأكلون وجبتهم المسائية .

كانوا ياكلون فى صمت مهيب .. جلسنا واخذنا نراقبهم بعض الوقت ولكنــه لم يكن منظرا مبهجــا ولهذا قلت لحارسنا الجديد :

ـ نحب أن نذهب لفراشنا .

ودون أن ينطق كلمة اخذ مصباحا وقادنى الى واحد من الممرات الصغيرة الخارجة من الكهف . وبعد ان ذهبنا حوالى خمس ياردات انفتح الممر الى داخل غرفة صغيرة . وفى ناحية من الحجرة كان رف حجرى طوله ستة اقدام وعرضــه قدمان اوثلاثة . واراني أن على أن أنــام هنا . ولم تكن هناك نافذة أو ثغرة ولا منضدة ولا كرسي ولا شيء ! وبدا لى المكان كانه يستخدم لراحة الموتى اكثر منه للأحياء .. ثم اكتشفت بعد ذلك أننى كنت على صــواب . ولكن كان على ان انــام فى مكان ما . وعلى ذلك عدت الى الكهف لأجد الحقيبة التى تضم اشيائى . هناك قابلت « جوب » الذى اقتيد الى غرفة أخرى من نفس النوع ، ولكنه قال لى :

ـ انه قبر يا سيدى .. مجرد قبر لجثة رجل ميت . لا أستطيع أن انـام هنا وحدى . هل أستطيع ان آتى معك .. لمجرد الصحبة يا سيدى ؟

وفى الصباح سمعنا صوت الطبل .. فقمنا .. وذهبنا الى الجدول واغتسلنا . وبعد ذلك جلبوا لنا الطعام .. وعندما جلسنا الى الافطار جاءت احدى النســاء الى « جوب » وحاولت ان تقبــله .. وكان « جوب » شديد الغضب فصرخ فى وجهها :

ـ اذهبى ! اذهبى ! صدقنى يا سيدى لم ارها قبل الآن على الاطلاق .. اوه !! يالله انها آتيــة نحوى من جديد . امســكها بعيدا يا مســتر « هوللى » '

واستدار هاربا !

رايت بعضا من شعب الأحجار يضحكون .. ولكن النساء وقفن هناك وكن ينتفضن غضبا ، ووددت لو كان « جوب » اقل حرصــا من ذلك على اســمه الطيب .. واكثر حرصــا على مشــاعر الســيدة !

خشيت ان يضعنا هذا فى موضع الخطر . والواقع ان ذلك قد حدث بالفعل !

قلت للرجال : ان الرجل متزوج .. وزوجتــه امراة شرسة . انها تجعل حياته بائسة .. هــذا هو السبب فى أنه يخشى النساء جميعا .. !

استمعوا الى فى صمت وكان واضحا أن طريقة « جوب » فى استقبال الســيدة قد مست كرامتهم ، وكانوا غاضبين لهذا ..

وبعد الافطار راقبنا الناس يعملون فى الحقول.. جاءت معنا صــديقة « ليو » واســمها « أوستين » وجلسنا الى جوار المجرى وسألت « اوستين » عن شعبها فأجابت :

ـ لا ادرى ولكن هناك خرائب كثيرة لمدينة قديمة قرب المكان الذى تعيش فيه « هى » .. المدينــة نفسها كان اسمها « كور » . لا احد يجرؤ أن يقترب

من تلك الخرائب ، ان ارواح رجال موتى تعيش فيها .
وهنـــاك خرائب اخرى فى اجزاء اخرى من البـــلاد
حيثمـــا كانت الأرض مرتفعة .. هنـــاك أيضـــا كهوف
منحوتة فى الصخر نحتها رجال عاشوا فى المدن .

ســـالت : هل لديكم اى قانون ؟

ـ هناك عادات شعبنا ، كمـــا أن هؤلاء الذين يرتكبون خطأ يقتلون !

ـ كيف ؟

ابتسمت وقالت : قد ترى هـــذا فى يوم قريب !

ـ هل لديكم اى حاكم ؟

قـــالت : نعم . هى ملكتنا .. ولكننا قليلا جدا ما نراها . مرة واحدة فقط كل سنتين أو كل ثلاث عندما تأمر بموت بعض الناس !

ـ كيف يبدو شكلها ؟

ـ لست ادرى ، انهـا دائمـا مغطـاة بحيث لا يستطيع احد ان يرى وجهها . يقال انها جميـلة جدا ، وانها تعيش الى الأبد وان لها قوة على كل الأشـياء .

وهكذا مرت اربعة ايام قبل ان تبدأ الأشياء فى الحدوث . سرنا على أقدامنا وساءلت « أوستين » والآخرين ، وبدانا نتحصل على صورة لهذا الشـعب الذى لم يزره رجل غريب منذ مئات السنين . وبدا ان هـذا البلد مقطوع تماما عن العـالم الخارجى . لا يستطيع أحد ان يعبر هذه الأراضى الواطئة الا اذا عرف الطريق وكل هؤلاء الذين حاولوا قتلتهم الملاريا او قتلهم الجوع او الغرق .

كان « ليو » يشعر بمزيد من السعادة اذ يرى جزءا من القصـة يثبت انه واقعى . ومن الواضح ان « جوب » لم يعرف كيف يفكر . كان يستطيع فقط ان يتساءل ويتعجب فقط .

وبدا أن « محمود » العربى كان جد خائفا .
كان شعب الأحجار مؤدبين حياله ولكنهم كانوا شديدى البرودة . ولم أستطع أن أعرف ماذا أخافه .

قال : ان هؤلاء الناس شياطين !

وكان هذا هو جوابه الوحيد ..

وفى ليلة اليوم الرابع حدث شىء ..

(١١) معركة فى الكهف

كانت هى الليلة الرابعة . وكنا ثلاثتنا و «أوستين» جالسين حول النار ، ثم بدأت « أوستين » تغنى بصوت خفيض . لم أستطع أن التقط كل الكلمات . بدا أنها نوع من اغانى الحب . ثم سمعت شيئا كالخوف فى صوتها :

« هى التى اقوى قد اخذته .. هى التى اجمل منى .. وانت استدرت وناديتنى فى الظلام ولكن » ..

وتوقف صوتها . كانت عيناها ثابتتين على شيء فى الظلام !

اشارت اليه ولكننا لم نر شيئا .

سال « ليو » : ما الأمر يا « اوستين »

ــ انه لا شيء . لماذا اخفيك ! انى فقط اسالك ان تفكر فى شانى عندما اكون قد ذهبت ..

وفى صباح اليوم التالى جاء حارسنا واخبرنى ان حفلا سيقام تكريما لنا . وعندما سمعت « اوستين » هذا رايت على وجهها نظرات رعب . امسكت بذراعه وكلمته ولكنه اجابها بجفاف وكان واضحا انها لم تكن سعيدة بذلك . حاولت أن اعتذر فقلت : نحن اناس هادئون ولا نحب الحفلات !

ولكنها استقبلت كلامى فى صمت ..

أخبرونى قبيل الغروب ان كل شيء جـاهز . كانت هناك نار كبيرة فى الكهف .. وكان هناك خمسة وثلاثون رجلا وامرأتان يجلسـون حولهـا .. كانت المرأتان همـا « أوسـتين » والمرأة التى جـاءت الى « جوب » . وبين الرجال كان « محمود » ..

قال « جوب » : انظر .. هذه امراتى تتحدث الى « محمود » .. أنا سـعيد لأنها لا تتحدث معى انـا !

نهضت المرأة وكانت تقود « محمود » خارجة من الركن حيث كان جالسا وكان « محمود » فى حـالة خوف هائـل .

قـلت : لا يروق لى هـذا المنظر هـل معك مسدسك يا « جوب » ؟

كان « جوب » معه مسدسه وكان معى مسـدسى أيضا . ولكن « ليو » كان معه سكين فقط .

جلس الرجال هنـاك فى صمت تام يمررون اناء

من الشراب القوى فيما بينهم .. ولم تكن هنـاك أية اشارة الى الطعـام .. ولكن كان هنـاك وعـاء حديدى كبير فى النار وقضيبان طويلان لرفعه .

وبعد وقت بدأوا يغنون . **غنى القائد** :

أين اللحم الذى سنأكله ؟

اجاب الآخرون : الطعام سيأتى !

غنى القائد : كيف سيأتى اللحم ؟

غنى الآخرون : سنقتله !

هل اللحى مستعد للطهى ؟

هل القدر ساخن لطهى الطعام ؟

انه ساخن ! انه ساخن !

قال « ليو » : انى أقول يا « هوللى » .. تذكر الكتابة فى الصـندوق .. انها **قالت** : الرجال الذين يضعون القدور على رءوس الأجانب ..

واذ قال هـذا قفز رجلان وانتزعا القدر من

فوق النار .. وفى نفس اللحظة اخذت المراة التى كانت جالسة بجوار « محمود » حبلا من تحت ثوبها ووضعته فوق كتفه . كان الرجلان يحملان القدر الى المكان الذى كان يصارع فيه « محمود » وكانا يقصدان أن يضعا القدر المحمر من السخونة على راسه ! .. لقد اعدت المراة هذا كانتقام مما فعل « جوب » .

قفزت انا واطلقت النار على هذه المراة الشريرة التى كانت ممسكة بالقدر بين ذراعيها وسقطت بينما يقفز « محمود » عاليا فى الهواء ، ثم سقط ميتا الى جوارها . لقد مرقت طلقتى ، التى اطلقتها من مكان قريب بهذا الشكل ، خلال الجثتين !

امسك رجل جالس قربنا بحربته ..

صرخت : اجر .. !

وكان هناك شرذمة من الرجال فى مدخل الكهف .. وعلى ذلك جريت داخلا الكهف . واذ قفزت فوق جثة « محمود » احسست بحرارة القدر عند

قدمى . وفى نهاية الكهف كان يوجد رف يرتفع ثلاثة اقدام وعمقه ثمانية اقـدام . ووصلنا اليه جميعنـا وقفزنا فوقه على استعداد لنحارب حتى النهاية .

وتوقفت الزمرة لحظة عندما راونا نواجههم . ونظرنا نحن الى صفهم الطويل من الأشباح التى تنتهى فى النـار وكنـا نستطيع ان نرى القـدر المحمرة من السخونة وهى تلتمع فى ذلك المكان شـبه المظلم .

كان « ليو » ممسـكا بمطواتـه فى يده اليمنى وقـال :

ـ وداعا يا « هوللى » .. لا فرصة لنا بازاء كل هؤلاء الناس الذين سيقضون علينا فى دقائق ويأكلوننا بعد ذلك .. اغفرلى انى اتيت بك الى هنا .. وداعـا يا « جوب » .. !

رفع « جوب » مسدسـة واطلقـه ثم وقع الاندفاع ..

قفز رجـل ضخم الى الرف الصخرى وغرس « ليو » سكينه فيه وعندما فرغ مسدسى استخدمت

المطواة ولا ادرى ماذا حدث « لجوب » .. اظن انه رقد ساكنا وتظاهر بالموت . ضربت رجلا بعنف شديد بسكينى ولما سقط جذبت السكين منه . وقفز على رجلان . وضعت يدا حول كل منهما وسقطنا جميعا على ارض الكهف معا ، بعضنا فوق بعض . كانوا رجالا أقوياء ولكنى كنت كالمجنون فى غضبى وكنت اشعر بعظامهما تتحطم وأنا اهصرهما وشعرت بهما يتوقفان عن الصراع ولكنى لم أجرؤ على تركهما .

ادرت راسى ورايت أن « ليو » قد غادر الرف الصخرى ايضا . كان فى وسط جمع يتصارع . ورأيت وجهه الجميل وتاجه من الشعر الذهبى ، عاليا فوق رءوسهم .. كان يحارب بقوة تروعك رؤيتها . ثم فقد كمينه وظننت النهاية آتية .. ولكنه هرب وامسك بجثة الرجل الذى طعنه توا ، ورفعها عاليا فى الهواء وقذفها نحو الطغمة فهوت بخمسة أو ستة منهم الى الأرض .. ولكنهم ، فى دقيقة واحدة ، وقفوا ثانية فيما عدا واحدا . عادوا اليه ثانية ، كلهم وفى صمت !! وسقط تحت وزنهم كأنه

شجرة هاوية . امسكوا بذراعيه ورجليه ..

صاح صوت : هاتوا رمحا !! رمحا لأقتله وقدرا لأمسك بدمائه !!

واغلقت عينى وسمعت صوت الصراع . وعندما نظرت من جديد كانت المراة « اوستين » قد القت بنفسها فوق « ليو » تحميه بجسمها حاولوا ان يجذبوها بعيدا ولكنها وضعت ذراعيها حول عنقه ورجليها حول رجليه وأمسكت به .

صاح صوت : اطعن الرجل بالحربة هو والمراة وهكذا سيجمع بينهما الموت !

ورايت رجلا ومعه جربة يستعدل قامته ويرفع ذراعه ورايت وميض النار فوق الحربة ..

واغلقت عينى .. واذ فعلت هذا سمعت صوتا يصرخ قائلا : قف !

وهبط الظلام على عقلى ولم اعرف شيئا بعد هذا ..

(١٢) بعد المعـــركة

عندما فتحت عيني ثانية كنت راقدا على الجلد غير بعيد من النار . وقريبا منى رقد « ليو » وكانت عيناه لا تزالان مقفولتين وجلست « اوستين » بجواره تغسل جرحا بجانبه .

وكان « جوب » واقفا خلفه يرتعش ولكن دون

اذى أصابه . وفى الجانب الآخر من النار كانت جثث هؤلاء الذين قتلناهم فى عراكنا الفظيع من اجل الحياة . عددتهم فكانوا اثنى عشر بخلاف المراة وجثة « محمود » المسكين .. والى اليسار كان عدد من الرجال يحرسون جثث هؤلاء الذين هاجمونا والذين بقوا احياء ، وعلى مقربة منهم كان « بلال » يشرف على عمل تثبيت إذرع السجناء من خلفهم . رآنى جالسا فجاء نحوى وقال :

ــ ارجو ان تكون افضل الآن !

ــ اشكرك ايها الأب لانقاذك ارواحنا ! فقد كان هؤلاء الأوغاد الشياطين يستطيعون أن يقتلونا كما قتلوا خادمنا ..

ــ سننتقم لخادمكم وسيذهبون اليها « هى » وسيتمنون أن لم تلدهم أمهاتهم قل لى ماذا حدث ..؟

فانبأته بكل شىء .

قال : يجب أن تفهم ان هناك عادة ان اى

اجنبى يأتى الى هـذا البلد سيقتل بالقدر .. انـا شخصيا اعتقد انها عادة سيئة شريرة وهى ـ التى ـ ينبغى ـ أن تطـاع قد بعثت أوامر بأنك لن تقتل . هؤلاء السجناء سيتمنون لو انهم هم ايضا قد قتلوا فى القتال .

ومضى فقال : ولكن هل تعلم ايها « السعدان » الطويل الذراع أنك انت قد حطمت عظـام هـذين الرجلين الاثنين كمـا يحطم رجـل قشر بيضـة . واما الشاب ، هذا الأسد فقد كان من الجميل أن يراه المرء وهو يقف وحده ضـد هذه الكثرة .. انت وهو قد جعلتمانى صديقكما بهذه المعركة الباسلة !

ثم سألنى عن مسدساتنا ، كيف قتلت رجـالا على مبعدة . ولكنى كنت متعبا الى حد بعيد ..

فتح « ليو » عينيه وحمله « جوب » بمساعدة « أوستين » الى السرير .. وذهبت أنا الى الغرفـة الصغيرة . وعندما جاء الصباح لم أشعر بأنى بصحة

جيدة تسمح لى بالاستيقاظ . وعندما جاء « بلال » تظاهرت بانى مستغرق فى النوم . ووقف ناظرا الى .

وسمعته يقول لنفسه : انى احب هذا « السعدان » وارجو الا تفعل « هى » شيئا من السحر عليه .

وفتحت عينى وقلت : صباح الخير ايها الأب !

ـ لقد جئت فقط لأرى كيف صحتك . لقد امرتنى « هى » أن آتى بك مباشرة ولكنى لا اظن انك يمكنك أن تتحرك .

قلت : ليس بعد ولكنى أتوسل اليك أن تجعلهم ينقلونى الى مكان فيه اشعة الشمس .. انا لا احب هذا المكان على الاطلاق !

قال : نعم نعم .. انه مكان مقبض حزين وعندما كنت صبيا وجدت فيه جثة امراة جميلة راقدة حيث ترقد أنت .. واعتدت ان اجىء وان انظر اليها

هنا .. وبدت كأنها ما تزال حيــة ولو انها كانت باردة فقط . كان جلدها ابيض وشعرها اصفر طويلا يكاد يصــل الى قدميها . وقعت فى حبهــا تقريبا .. ثم اكتشفت امى ذات يــوم أين أذهب ، فأوقفت المرأة الميتة الى الحائط واخذت مصباحا واشعلت النار فى شــعرها واشــتعلت الجثــة كلها وذابت كأنهــا من الشمع .. ! ان هؤلاء المحفوظين من التداعى يحترقون دائما بهذه الطريقة .. انظر ! .. هناك على السقف يمكن أن ترى آثار الحريق .. !

نظرت الى اعلى .. وكانت هناك علامة سوداء عرضها ثلاثة اقدام ..

قــال : عندما عدت كان كل شىء قــد احترق ما عدا القدمين . اخفيت قــدما منهما تحت الرف الصخرى . ربما كانت ما تزال هناك !

ووضع يده تحت الرف الصخرى حيث كنت ارقــد ..

ـ هـاك !

قالها ووضع شيئا فى يدى . وكان ذلك قدما ! ربما أخف وزنا مما لو كانت حية ولكنهـا محفوظة جيداً من حيث الشكل واللون ! .. ترى .. كم دبت هذه القدم على الأرض عندما كانت صاحبتها حية .. يا للقدم البائسة الحظ !

(١٣) الرحلة الى كور

واحضروا لنا خمسة مقاعد نقالة . وكان هناك حرس من خمسين رجلا ليذهبوا معنا ..

سألت « بلال » : هل ستأتى « أوستين » معنا ؟

قال : اذا أرادت .. انها ، بحكم قوانيننا

زوجته . انها فتـاة شجاعة وهى تحب الأسـد ، وانقذت حياته . ومن حقها أن تذهب حيث يذهب هو الا .. اذا قالت (هى) لا !!؟

ونزلنا الى جانب التل ، ثم صعدنا الناحيـة الاخرى ، حيث كانت هناك ارض مديدة من الحشائش الخضراء تهبط بوداعة الى حيث رايت المزيـد من الأراضى الواطئة .. وعبرناها ، ثم جئنا الى طرف الأراضى المشبعة بالمـاء وهنـاك استرحنا قليـلا ثم مضينا . كانت أسـوأ من الأرض التى عبرناها فى قاربنا وكانت رائحة العفن حولنا فى كل مكان وتتحرك فيها ثعـابين مائيـة سوداء بسرعـة كبيرة . وكانت الأصوات الوحيدة هى أصوات الضفادع العاليـة وهى أكبر ضفادع رأيتها فى حياتى وفوقنا صرخات الطيور الهائمة فى السماء ..

وصلنا عند الغروب الى قطعة الأرض الصلبة ، وكانت عبارة عن جزيرة صغيرة تقف وحيدة فى الأرض المهجورة . وهنـاك انفقنا الليل واقفين أو راقـدين

حول النيران .. ولكن ظلت اصوات الضفادع مدة طويـلة هى وعضـــات الحشرات . واصــبح النـوم مستحيلا .

نظرت الى « ليو » الذى كان راقدا الى جوارى. وكانت عيناه تلمعان ووجهه أحمر وشفتاه جافتين .. كان مصابا بأزمة مالاريا حادة . وكان جد مريض . وجلست « أوستين » قلقة الى جانبه ..

واخـيرا نمت قليـلا واستيقظت بينمـا كانت الشمس تصعد الى كبد السماء . كان « ليو » جالسا ممسكا براسه بين يديه ..

سـألته : كيف تشعر الآن ؟

اجاب بضعف :

ـ انا جد مريض .. اشعر كاننى ساموت !

وكان « جوب » مريضا هو الآخر .. ولكن ليس مثل « ليو » ..

سألت « بلال » : هل يستطيعان أن يذهبا ؟

فاجاب : يجب أن يذهبا ان بقاءهما هنا معنـاه الموت .. !

وصلنا اخيرا الى جزء خطير جدا .. فقد كان الرجال امامنا غائصين حتى ركبهم فى المـاء . وسار امامنا مرشـدان بعصى طويلة يجربان الأرض وهمـا يسيران .. ثم سمعت صرخة مفاجئة ثم كثيرا من الصـياح ..

كان أحد رجال « بلال » قد وضـع قدمه على ثعبان . وسقط الكرسى على الأرض وسقط « بلال » فى المـاء وعندما تمكنت من الذهـاب الى طرف المـاء لم يكن من الممكن رؤية الرجل أو « بلال » .. ولم يمكننا رؤية الرجل حامل الكرسى مرة ثانية واستطعت أن اخمن اين « بلال » لأنى استطعت ان ارى المقعد هناك فى المـاء وقطعة القماش التى وضعت فوقـه لحمايته من الشمس ولكن « بلال » نفسـه لم تمكن رؤيتـه ..

وصرخ واحد من الرجال: انه هناك .. هناك !

ولكنه لم يفعل شيئا لمعاونته ..

صرخت انـا : افسحوا الطريق !

وقفزت الى المـاء . واخيرا وصلت الى المكان الذى كان « بلال » يناضل فيه تحت قطعة القماش وخلصته منها ثم جذبته الى الأرض ..

وقف هنـاك والمـاء القـذر يسـيل من فـوق راســه ..

وقـال : يا للكلاب ! أنتم تركتمونى هنا ، أنـا ابوكم ، لكى اغرق . سأتذكر هذا ! اما انت يابنى ايها « السعدون » فأنا صديقك الى الأبد .. لقد انقذت حياتى .. ربما يأتى يوم سأنقذ فيه حياتك !!

(١٤) مسكن .. ((هى))

وقبل الغروب جئنا من الأرض المنخفضة الى واد يرتفع الى أعلى فى شكل موجات . ووقفنا الليلة تحت بضعة أشجار . وطول الليل كنت مشغولا بمساعدة « أوستين » على رعاية « ليو » الذى كانت حالته سيئة جدا .. وفى صباح اليوم التالى كانت حالته قد ازدادت سوءا ..

وسريعا بعد شروق الشمس صعدنا الى قمة التل المشوشب.. ورأينا أسفلنا بلدا غنيا بالحشائش والأشجار والأزهار . وعلى بعد مسافة كان هناك جبل مشكل تشكيلا غريبا جدا . كان على قدر ما تمكنت من الرؤية ، مستديرا تماما تقريبا ، وتقاس دائرته بحوالى سبعة أميال ، وصعدت جوانبه مستقيمة من الوادى كأنها جدران ، وقمة هذه الجبال تكاد تضيع فى سحب الصباح المبكر . واذ جلست فى مقعدى أرقب « بلال » الذى **قال** : هذا هو منزلها هى ــ التى ــ يجب ان تطاع !

قلت : انه رائع .. ولكن اعتقد أن تسلق هذه الصخور أمر صعب للغاية !

ــ انظر الى هذا الممر تحتنا ..

نظرت ورايت ما بدا إنه نهر او نهر جاف أو ربما كان ممرا مائيا من صنع الانسان .

وشرح « **بلال** » : فى وسط حلقة دائرة الصخور كانت ذات مرة بحيرة وكان مركز البحيرة أعلى من

هذا الوادى . والناس الذين بنوا مدينــة « كور »
شقوا ثقبا فى قــاع الجبل بحيث تدفقت الميــاه من
البحيرة وصنعوا هذه الأراضى المنخفضة الخطيرة التى
جئنا عليها . وعندما تدفق المــاء كله من البحيرة تركوا
ممرا يستطيع الرجـــال أن ينفذوا فيه الى دائــرة
الصخور وبنوا المدينة على جزء من مرقد البحيرة وكان
الباقى حقولا لحيواناتهم وأراضى بستانية ..

وأخيرا وصلنا الى وجه الحائط الصخرى وجئنا
الى فم الفتحة المظلمة فيه .. وكان جزء من هــذه
الفتحة يملأه نهر صغير ما لبث أن ادير عن ممرنــا
الجاف ليتدفق من ممرنا المــائى الى طريق آخر ،
بعد أن تركنا الصخرة . وبخــلاف جانب هذا النهر
فى الممر المظلم رايت طريقا أعلى من النهر ..

انزلت مقاعدنا وجاء « بلال » واخبرنى أنه يجب
تغطية عيوننا حتى لا نعلم اسرار المدخل .. فعلوا بنا
هذا ثم بدانا من جديد .. كان شــعورا غريبا هــذا
الذى احســسنا به اذ حملنا داخل قلب الصخرة .

لا نعلم اين نحن ذاهبون . جلست وانـا استمع الى وقع خطوات اقدام الرجال واندفاع الميـاه . وسريعا ما بدأ الرجال يغنون وبدت أصـواتهم غريبة وحزينة وهى ترن بين السقف الصخرى والجدران من حولنا .
وظللنا نستدير الى هذا الطريق وذلك حتى لا أستطيع ان أحتفظ بخريطة فى ذهنى عن الطريق الذى سرنا فيـه ..

وبعد نصف سـاعة شعرت إننـا خرجنا الى الهواء الطلق وبدأ الضوء ملتمعا من خـلال القماش المربوط فـوق عينى . ثم سمعت « بـلال » يعطى الأوامر برفع الأغطية عن عيوننا ..

ورأيت اننا كنا الآن داخل جدران الصخر ..

ولم تكن هذه الجدران من الارتفاع كما كانت فى الخارج ذلك لأن مرقد البحيرة كان أعلى من المركز . ونحو مركز الوادى ظننت أنى أرى خرائب واطـلالا بينما كان بقيتها مقسما الى حقول وحدائق . ولم

يكن لدى وقت لأرى المزيد من المكان لأن جمهرة من سحب الأحجار قد جاءوا والتفوا حولنـا .. وبدوا متشابهين مثل النـاس الذين رأينـاهم من قبل فى الكهف ..

ثم جاءت نحونا جماعة من الرجـال المسلحين يقودهم ضابط يجرون نحونا . وبدوا انهم آتون من وجه الصخرة مثل طوابير النمل الآتية من تلالها . وكان هؤلاء هم جماعتها من الحراس .. وذهب قائد الحرس نحو « بلال » وحياه . ثم دارت الجماعـة كلها وسارت على طول جانب الصخرة العالية وتبعهم حاملونا .

وبعد ان سرنا حوالى نصف ميل توقفنـا عند مدخل كهف كبير حوالى سـتين قدما فى الارتفـاع وثمانين قـدما عرضـا .. وهنـا امرنا « بلال » أن ننزل .. ولكن « ليو » طبعا حمل الى الداخل . وكان الجزء الداخلى من الكهف تضيئه المصابيح . وكانت جدرانه مزينة بالصور . وغالبا ما تكون صور الصيد

أو الرقص وقلة من صور المعارك . ومن هذه الصور الأخيرة فهمت أن قليلا من الجيوش قد جاءت الى هذه النواحي .تحارب فى هذه البلاد ان كانت قد جاءت على الاطلاق . وكانت هناك كتابات بين الصخور ولكن الحروف فيها كانت مجهولة لدى ..

وقابلنا خادم يرتدى الزى الأبيض وانحنى أمامنا ولكنه لم يقل شيئا . وهذا لأنه ، كما علمت بعد ذلك، لم يكن يتكلم او يسمع ..

وكان هناك ممران يخرجان من الكهف الكبير . واحد منهما فى كل ناحية . فى الفتحة التى فى الجانب الأيسر كان حراس .. وأعتقد أن هـذا الممر يؤدى الى المكان الذى تعيش فيه (هى) .. وابدى الخادم انه يجب علينا أن نمر فى الممر الأيمن .. وجئنا الى ستار ، ومن ورائه وجدنا غرفة يتسلل اليها الضـوء خلال فتحة محفورة فى وجه الصخرة . وترك « ليو » وبقيت معه « أوستين » .. ولو أن الخادم نظر اليها نظرة غريبـة وقادنا الى غرفـة اخرى حيث بقى

« جوب » .. ثم الى غرفتين اخريين واحدة يحتلها « بلال » والثانية لى ..

كانت هناك قدور ماء فى جميع تلك الغرف ، وبذلك اخذت أنا و « جوب » حماما . وكنا سعداء ان ننظف انفسنا ثانية .. واذ انتهينا جاءت فتاة شابة وادت اشارات لترينا ان الطعام كان جاهزا لنا فى الغرفة التالية التى لم ندخلها بعد .. ويبدو أن الفتاة لم تكن قادرة على الكلام ..

وفى كل جانب من جوانب تلك الغرفة ، كانت هناك مناضد صخرية غريبة وفوق كل منضدة ممر هوائى . وفى احدى المناضد كانت هناك أمكنة حفرت على هيئة رجال .. مكان تستريح فيه الراس ، وآخر للأجزاء السفلى من البدن وموضع للجزء الأسفل من البدن .. وكانت هناك صور حول الجدران .. وكانت هى الأخرى صورا غريبة غريبة جدا .. !!

بينت الصورة الأولى موت انسان فى منزله ..

والثانية للرجل موضوعا على المائدة الحجرية التى وصفتها ، وكان ثلاثة رجال يقفون جانبا يصبون السائل فى فتحة اجريت فوق قلب الرجل ، وقد غطيت انوف هؤلاء الرجال وافواههم لكأنما تحميهم من البخار ورائحة السائل .. وفى الصورة الثالثة نرى الرجل يوضع فى القبر وعند الراس والقدم مصابيح موقدة ..

كان واضحا لى أن هذه الغرفة كانت هى الغرفة التى عولج فيها الموتى ليحتفظ بهم بتلك الطريقة السحرية التى عرضها « بلال » فعلا .

ويمكنك أن تفهم كم كنت جوعان بعد رحلتنا .. و « جوب » أيضا قد تأمل فى تلك الصور !!

(١٥) ((هى)) تريد رؤيتك !

بعد تناول الوجبة جلست انا و « جوب » مع « ليو » لمـدة ساعة .. ثم جاء « بلال » وقال بلهجة بالغة الجدة :

ــ ان هـــذا شرف اتيح لقلة من الناس .. « هى » قالت انها ترغب فى رؤيتك !

واظن انه قد دهش للطريقة الباردة التى اخذت بها هذه الأخبار . ونهضت لأتبعه واذ فعلت هـذا رايت شـيئا يلتمع على الأرض والتقطته . كان هو الخاتم الذى كان فى الصندوق الحديدى .. الخـاتم مع العلامات « ابن الشمس » المنقوشـة عليه واعتقد انه سقط من اصبع « ليو » أثناء مرضـه وعلى ذلك وضعته فى اصبعى لكى أبقيه آمنا .

وجئنا للممر الثانى وذهبت امام الحراس .. ثم قابلنا أربعة خدم وكانوا رجلين وامراتين .. وانحنوا امامنا دون كلام . وذهب الرجلان الحارسان اولا ثم تبعتهما المراتان .. ومررنا امام ابواب عديدة عليهـا ستائر فكرت انها لابد أن تكون غرف الخـدم . ثم جئنا الى ممر له باب وحارسان يقفان امامه . ومن خلال هذا الباب نفذنا الى غرفـة كبيرة فيها ثمـانى أو عشرة نساء ، معظمهن شابات جالسـات يقمن بشغل الابرة .. لم يقلن كلمـة ، لم تكن واحـدة منهن تنطق او تتكلم او تسمع !

وفى نهاية الغرفة كان هناك ممر وبابه عليه ستائر

غليظة .. وفى مواجهته وقفت فتاتان براسيهما منحنيين وذراعاهما على صدريهما ، واذ اقتربنا مدت كل منهما ذراعها وشدت الستائر وفتحتها .

ثم قام « بلال » بعمل غريب حقا !! .. نزل على يديه وركبتيه ومضى امامنا على هذا النحو ..

وقال ناظرا الى اسفل : الى اسفل يا « سعدون » .. على يديك وركبتيك .. نحن ذاهبون الى حضرة « هى » .. ولكنى لم ارد أن افعل هذا ، وشعرت بالخوف ولكنى مضيت اسير ببطء وراء « بلال » وشعرت بحماقتى بسبب المجىء الى هذه الغرفة وكدت اشعر بالرغبة فى الضحك .

وكان فى نهاية الغرفة ممر وباب عليه ستائر رفيعة لمع من ورائه ضوء ولم يكن احد فى الغرفة الا نحن ..

واخيرا وصلنا الى الستار وهناك تمدد « بلال » على الأرض .

شعرت أن هناك واحدا ينظر الينا من الناحية الأخرى من الستار ، وبدأت أشعر بالخوف .. لست ادرى لماذا ؟

كان المكان ساكنا الى هذا الحد . وكانت ثمة رائحة غريبة .. رائحة ثقيلة .. رائحة ازهار . وشعرت بالمزيد من الوحدة ..

ومرت الدقائق ثم فتحت الستائر .. !

(١٦) وحيدا مع الملكة

قال صوت بالعربية القديمة :

ـ أيها الغريب لماذا أنت خائف ؟ !

وكان هذا أجمل صوت سمعته فى حياتى .. مثل همس جدول صغير .. او صوت مطر يسقط على المياه الساكنة .. مثل صوت طير هادىء يغرد عند

شروق الشمس .. مثــل احب موســيقى تسمعهــا اذنك .. !

ثم ظهرت يد بيضاء خـلال الســتائر وجذبتها وفتحتها ..

كان وجهه الملكة مغطى بقناع حريرى ابيض .. وكان جسمها مغطى .. كمــا تغطى جثــة بثيابهــا الوقورة .. وحتى مع هذا استطعت ان اعرف ان الشبح الملثم أمامى كان شبح امرأة شابة جميلة عندما حركت يدا أو قدما ، كانت هنــاك تلك الرشــاقة والرقــة ..

قالت مرة ثانية :

ـ لمــاذا انت خائف ايها الغريب ؟ !

ورفعت احدى ذراعيها ورأيت شــعرها الذى انهال على ثوبها الثلجى الى قدميها تقريبا ..

اجبتها : انه جمالك الذى يشعرنى بالخــوف يا مليكتى !

وسمعت « بلال » يهمس هناك على الأرض : حسن .. حسن يا « شعدان » !

قالت : أرى أن الرجال لم ينسوا كيف يتكلمون الكلمات الطيبة !

وقالت : والآن قل لى .. كيف جئت الى هنا ! .. ماذا تريد أن تراه بمجيئك الى هنا ؟ .. لماذا لا تفكرون كثيرا بأنفسكم حتى وضعتم أنفسكم تحت رحمتها .. تحت رحمة « هى ـ التى ـ يجب أن تطاع » ؟ .. وكيف استطعتم أن تعرفوا لغتى بهذه الجودة ؟ .. انها لغة قديمة .. أهى لغة حية فى العالم الى الآن ؟ !

ثم نظرت الى « بلال » : آه .. أنت هناك .. قل لى لماذا هوجم هؤلاء الرجال وتعرضوا للقتل بالقدور ؟ .. ما معنى هذا ؟

وقال دون ان يرفع راسه : قادت هؤلاء الرجال امراة كانت غاضبة من « جوب » .. ولكن هذا

الرجل ، « السعدان » والآخر ، « الأسد » قتلا المرأة وحاربا حربا جريئة حتى جئت وانقذتهم .. وكل الأشرار الذين اشتركوا فى الهجوم عليهم قد جلبوا هنا الى « كور » لكى تنزلى عليهم حكمك !

ـ اعرف ذلك . غدا سأحاكمهم .. اما انت فانى اغفر لك ولكن كن اكثر حذرا !

ونهض « بلال » على ركبته وانحنى مرتين ثم استدار وخرج من الغرفة بنفس الطريقة التى دخل بهـا ..

واصبحت وحدى مع الملكة المخيفة !

(١٧) عائشة ترفع الحجاب

قـالت : ان الرجل ذا اللحية البيضاء .. ذلك العجوز الأحمق قد ذهب .. وأنا تعبت من انحنائهم لى وخوفهم منى .. واشـعر فى بعض الأحيـان أنى استطيع أن انزل عليهم بما لدى من سحر .. فقط لكى أرى وجـوه الآخـرين تتحول الى بيضـاء من الخوف .. !

وفتحت الستار جانبا حتى أستطيع ان ادخل الغرفة التالية ..

ووراء الستار كانت هنـاك غرفة يبلغ اتساعها حوالى اثنى عشر قدما .. على جانب منها كان مقعد ومائدة محملة بالفواكه .. وجرة مـاء .. وتضىء المكان مصابيح خافتة الأضواء .

قـالت : اجلس .. لا سبب لديك يدفعك الى الخوف منى .. واذا كان لديك سبب فلن تخـافنى زمنـا طويلا لأنى سـأقتلك ! الآن قل لى .. كيف استطعت أن تتكلم لغتى ؟

قـلت : لقد درستها .. ولا زالت هى لغة الكلام فى مصر !

ـ آه .. الازالت هناك مصر ؟ ! الايزال يحكمها الفرس ؟

ـ كلا .. خرج الفرس من مصر منذ اكثر من الفى عـام .

ــ اما تزال أورشليم باقية ؟ لقد ظلوا يتحدثون عن معلم عظيم وزعيم كبير سـوف ياتى .. اتراه قد جاء ؟

ــ السيد المسيح جاء .. ولا تزال تعاليمه قائمة فى العالم .

ــ آه لقد كان هذا بعد زمنى .. كنت فى أورشليم ذات مرة .. وألقوا على أحجارا لاتزال آثارها على ذراعى انظر !

وسحبت الغطاء وبينت لى علامة حمراء صغيرة على بياض جلدها ..

امتلأت فزعا وخوفا وعجبا وقلت :

ــ ولكن أيتها الملكة لقد مر نحو ألفين من السنين منذ ان ظهر السيد المسيح فى أورشليم .. كيف تستطيع امراة ان تعيش الفى عام ؟ !

ونظرت الى وبدا ان عينيها تفتشان عن قلبى وقالت :

ـ ايها الرجل الأحمق .. الا تزال تعتقد أن كل شيء يموت ؟ لا يوجد هناك شيء اسمه الموت .. انه فقط تغيير .. ستة آلاف عـام مضت على الناس الذين رسموا هذه الصور على الجدران .. الكل ماتوا بسبب مرض خطير .. الا انهم ليسوا أمواتا .. ربما انجذبت أرواحهم نحونا فى هذه الدقيقة !

ونظرت حولها وقالت :

ـ فى بعض الأحيان يبدو لى أن عينى يمكن أن تراهم .. ولكنهم موتى بالنسبة الى العالم .. انهم موتى الى وقت ما .. ولكنهم يولدون من جديد .. انا عائشة .. هذا اسمى !! .. انا عائشـة انتظر واحدا أحببته أن يولد من جديد . مات منذ الفى عام. لمـاذا تتوقع اننى وأنا التى بهذا الجمال وبهذه القوة اعيش هنا مع شعب متوحش .. ؟ !

قـلت : لا اعرف .

اجابت : ذلك لأننى انتظر هـذا الذى احبـه

لأننى أعرف أنه عندما يولد من جديد سيأتى الى هنـا .. !

قـلت : اذا كنا نحن الرجـال نولد من جديد لمـاذا لا يكون هذا حقيقيا بالنسبة لك ؟ انك تقولين انك لم تموتى ابدا !

ـ هذا حقيقى .. لأنى عرفت سر الحيـاة .. والموت .. واسرارا أخرى كثيرة ايضا .. أمتعجب انت كيف عرفت انكم قادمون الى هـذه البلاد وهكذا انقذتكم من شعب الأحجار .. ؟ انظر الى هذه المياه !

وقفت ونظرت فى مياه الدورق ووجدت المـاء يسود ثم يتضح ثم رايت قاربنـا فى المـاء . وكان « ليو » راقدا فيه ، نائما وراســه مغطـاة لابعـاد الحشرات . وانا و « جوب » و « محمـود » نجر القـارب ..

وصرخت انـا قائلا : ما هذا ؟ اهو سحر ؟

اجـابت : كلا انه ليس سحرا .. انما استطيع

ان أستدعى صورا من المـاضى .. ولكنى لا اسـتطيع ان أرى ماذا سيحدث غدا .. رأيت تلك الصورة فى الدورق وعلى ذلك فقد أرسلت وانقـذتكم .. قـل لى .. كيف حال هـذا الشاب الذى كان نائمـا فى القارب ؟ انا أحب أن التقى به .. ولكنهم أخبرونى انه مريض ومجروح .

قـلت : انه جد مريض .. الا تستطيعين أن تفعلى شيئا من أجله ؟ !

ـ دعه ينام .. يوما آخر . من الأفضـل ان يقاوم المرض بمحض قوتـه .. ولكن اذا لم يستطع فسوف اذهب اليه .. من الذى يعتنى به الآن ؟

ـ خادمنا « جوب » .. وهناك امراة من شعبك اسمها « أوستين » يا مليكتى .. !

ـ شعبى ؟ هؤلاء العبيد ليسـوا شـعبى .. ولا تنادنى باسم الملكة .. لقد تعبت من هـذا الاسم نادنى باسم « عائشة » . هذا الاسم يجعلنى افكر فى

الماضى ! .. اما عن « أوستين » .. فلقد أخبرونى ذات مرة عن خطر عظيم يأتينى عن طريق امراة .. وانى أتساءل ...

ثم توقفت و**قالت** : « سأرى » ..

ونظرت فى الماء و**قالت** : انظر .. ثم قالت بسرعة .. هل هذه هى المراة ؟

ونظرت فى الماء ورأيت وجه « أوستين » وهى تنظر برفق الى شخص اسفلها ..

قلت : نعم .. انها تراقب « ليو » وهو نائم !

قالت : « ليو » ؟ الأسد .. ان الأمر غريب .. ولكن هذا مستحيل ..

ومررت يدها وتلاشت الصورة .. **ثم قالت** :

ـ الديك شىء ترغب أن تسألنى عنه يا « هوللى » قبل ان تذهب . ان شعب الأحجار شعب متوحش .. انهم لا يعلمون شيئا .. وخدمى لا يستطيعون أن يسمعوا او يتكلموا .. هل هناك شىء ؟

أجبت : نعم يا « عائشة » .. اريد ان انظر الى وجهك !

ضحكت وقالت هناك قصة اغريقية عن رجل مات لأنه اتكشف على قدر هائل من الجمال .. لو أريتك وجهي ربما أصابك اذى !

أجبت : انا لست خائفا من الجمال ! .. لقد تخليت عن مثل كل هذه الأمور .. فان الجمال كله يزول كما تذوى الأزهار ..

ورفعت ذراعها وجذبت ببطء نقابها .. رباه كيف يمكن أن يكون هناك مثل هذا الجمال ؟ !! لا استطيع ان اصفه .. وكيف يمكن ان يكون مثل هذا الجمال شريرا ؟ !

وظللت وقتا لا استطيع ان ابعد عيني بعيدا عنها . ثم وضعت يدى أمام وجهي . وعندما فعلت هذا رايت ، من خلال اصابعي ، تغييرا كبيرا يطرأ عليها كانت عيناها مثبتتين على شيء بنظرة فزع ..

وهمست : يا رجـل .. من اين جئت بهـذا الخاتم ، تكلم والا قتلتك بسحرى ! لقد اخفتك .. اغفر لى .. ولكن الخـاتم من اين جئت به ؟ !

قلت : التقطته!

قالت : هذا امر غريب ، غريب جدا . رأيت حجرا مثل هذا مرة مع كاليكريتس .. كان يلبسـه دائما .. وكان يقيمه تقييما عظيما جدا .. اذهب !.. اذهب .. !!

(١٨) لعنـــة عائشـــة

لم استطع أن انام بعد ليلة كهذه . رقــدت على فراشى متيقظا . وأخيرا فى النهاية فكرت أنــه من غير المجدى أن أنام . وقررت أن أقوم وانظر كيف اصبحت صحــة « ليو » .. وذهبت فى هــدوء الى غرفتــه ..

كان شـــديد القلق . والى جانبـــه جلســت « أوستين » نصف نائمة . كانت ممسكة بيده .. اما « ليو » المسكين فقد كان وجهه يشتعل حمرة ، كانت هناك ظلالات داكنة تحت عينيه . وكانت أنفاسه ثقيلة .. كان مريضا .. وهبطت على نفسى مشــاعر فظيعة بأنه ربما كان يحتضر .

عدت الى غرفتى بنفس الهدوء الذى جئت به .. ولكنى مع ذلك لم أستطع أن انــام . وفجأة لاحظت بابا ضيقا قائما فى الحائط .. أخذت المصــباح ورحت اتحقق من أمره . انه ليس من المـأمون فى بلد غريب أن يكون هناك ممرات تؤدى الى غرفة نومه من حيث لا يعرف الانسـان .. مررت فى المنفذ وقادنى هــذا الى سلم .. وفى نهاية قاع السلم .كان هناك ممر أصغر منحوتا فى الصخر .. « يجب أن أذهب » .. هكذا فكرت بعد أن أصبحت وسط هذا الكهف الكبير ..

واذ ذهبت حول زاوية احد الأركان ، هبت فجاة ريح اطفأت المصباح .. ووجــدت نفسى غارقــا فى

الظلام .. ونظرت أمامى فى هذا الظلام وبعيدا رأيت وميضا ضعيفا لنار .. وفكرت ربما استطعت ان أوقد مصباحى هناك ثانية .. وهكذا تحسست خطواتى خطوة خطوة بقدمى ومحتفظا بيدى على الحائط .. ومضيت الى الأمام بحذر ..

رأيت ستارا من ورائه تلمع نار .. وكان ضوء النار شديد البياض ولم يكن هناك دخان .. والى اليسار كان هناك رف صغير وفوقه كانت جثة انسان مغطى بقماش ابيض .. وكانت هناك امرأة جالسة الى جوار النار . كانت فى الحقيقة جالسة بالنسبة الى فى مواجهة الرجل .. ثم وقفت . وكانت (هى) مرتدية ثيابها كلها ذات اللون الأبيض الا أن وجهها كان متغيرا .. كانت تبدو مليئة بغضب مجنون .. ومع ذلك رأيت فى عينها فزعا وألما أكبر كثيرا مما يحتمل المرء .. رفعت ذراعها وسمعتها تهمس قائلة : اللعنة عليها ! .. عليها لعنتى تلك المرأة المصرية

لأن سحرها أنقذها منى لأنها أخذت منى حبيبى ..
اللعنة عليها وهى تموت ، واللعنــة عليها وهى تولد
ثانيــة ..

قالت هذا مرة ومرة اخرى ثم بدأت تبكى وقد
جلست جوار النار : ألفا عــام والحب يأكل قلبى ..
انتظرت ألفى عــام .. ألفا عــام والحب يأكل قلبى
والشر الذى فعلته أبدا قبلى أو امامى .. ان الزمن
لا يجلب الغفران .. آه يا حبيبى لمــاذا قتلتك ولم
أستطع أن أموت ولكن ، واأسفاه ، لا استطيع أن
أموت !!

ثم ذهبت الى المكان حيث كان الرجل الميت راقدا
وصرخت تقول : آه يا كاليكراتيس يجب أن أنظر الى
وجهك !

وسحبت الغطاء ثم هوت على ركبتيها الى جانب
الرجل الميت وضغطت شفتيها على الجثــة الخاليــة
من الحياة وبكت ..

ولم استطع انا ان اتحمل اكثر من هــذا ..
استدرت بعيدا .. كان ضوء باهت ضعيف يأتى الى
الممر خلال ممر هوائى خفى . ووصلت غرفتى آمنــا
وهويت على فراشي .. !!

(١٩) حـكم عائشة

عندما فتحت عينى كان « جوب » فى الكهف ..
لبست ثيابى وتناولت بعض الافطار ثم ذهبت لرؤية « ليو » وسألت « أوستين » عن حاله .. ولكنها هزت رأسها وبدأت تبكى .

وعندما ذهبت الى هنـــاك اتجهت الى الكهف

الرئيسي وكان مليئا الآن بشعب الأحجار .. ومررنا خلال الزحام حتى وصلنا الى مكان مرتفع فى النهاية.. وكانت هناك ممرات كثيرة .

قال « بلال » : ان هذه الممرات تؤدى الى كهوف مليئة بالجثث !

واضاف : الواقـع هو ان الجبـل كـله ملىء بالموتى .. ولكن هؤلاء الموتى كلهم محفوظون حفظـا تاما !! .

وعلى الجزء المرتفع كان هناك كرسى مصنوع من الخشب الأسود .. وفجـأة دوت صرخة : « هى ! هى ! » والقى النـاس جميعا بأنفسـهم على الأرض وبقيت انا وحدى واقفا ! .. وجاء صف من الحراس من ممر الى اليسار .. وكانت تتبعهم عشرون خادمة ثم عشرون خادما ثم عشرون خادمة يحملن مصـابيح وفى النهاية جاءت عائشة نفسها مقنعة من رأسـها الى قدمها . وجلست على الكرسى ، ثم تكلمت الى باللغة

اليونانيــة ، وأعتقد انهــا لم تكن تريد للآخرين أن يفهموا شيئا مما تقول .

ـ يا « هوللى » .. تعال هنا .. واجلس عند قدمى .. وانظر الى كيف احاكم المفسدين .. هــل نمت نوما جيدا يا « هوللى » ؟ !

قــالت : ليس جيدا ..

فقالت :

ـ أنا ايضــا نمت نوما رديئا .. لقد مرت بى احلام كثيرة .. حلمت بواحد إكرهه وواحد احبه .. فليتقدم الرجال !

وعندما أحضر الرجال **قالت عائشة لى :** هــل تعرف هؤلاء الرجال قل لى ماذا حدث !

فقلت بأوجز عبارة ممكنة .. وسمعت قصتى فى صمت تام .. ثم قال « بلال » القصة نفسها من وجهة نظره ..

قالت « هى » فى صوت كبرودة الثلج : مـــاذا لديك من قول ؟

لم يكن هناك من جواب . ثم طالب أحد السجناء بالرحمة . وساد صمت . ثم وقف السجناء هنـا برؤوس منحنية . وظل الناس يلقون بأنظـارهم الى الأرض ناظرين خـلال أصـابعهم الى الملـكة .. ثم تكلمت :

ـ سيؤخذ بهم الى ساحة الموت ! .

ورجونها أن تأخذها بهم شفقة ..

واجابتنى بالاغريقية : لا يمكن أن يحدث هذا .. فلو بينت لهم رحمـــة لأصبحت حيـــاتكم مهددة بالأخطـار .. !

واستدارت الى الكابتن وقالت : خذهم !!

(٢٠) كهــوف المــوتى

اقتيد السجناء بعيدا .. وذهب الحراس .. وخرج الناس من القاعة على ايديهم وركبهم .. وتركونا وحدنا فيما عدا خادمين . ووقفت لأنصرف **فقالت** :

ـ ابق يا « هوللى » .. اتحب أن ترى بعضـا من عجائب هذا المكان ؟ انظر الى هذا الكهف ! عشرات

١٤٥
(م ١٠ ـ هى أو عائشة)

من آلاف الرجـال عملوا سنوات ليصنعوها .. ان اهل مدينة « كور » مثل قدماء المصريين .. يبدو انهم كانوا يفكرون فى الموتى اكثر من الأحياء !

. واشارت الى بعض الكتابة على الجدران ، ورفع خدمها مصابيحهم **وقرأت « هى » لنا ما هو مكتوب :**

« فى هذا العام ، اربعة آلاف ومئتان وخمسون عاما .. منذ بناء مدينة « كور » .. وهــذا الكهف هو مقر راحة ابدى للموتى وقــد بنى على يد الملك تسنو ، ملك كور » ..

وقادتنى الى وســط الكهف حيث كان هنــاك حجر مستدير فى الأرض . وكان هناك مربع من الكتابة على الجدران قربه . **وقرأت « هى » :**

« انا جونيو ، كاهن مدينة « كور » أكتب هــذا بعد اربعة آلاف وثمانمائة وثلاثة أعوام منذ بناء هذه المدينة .. سقطت « كور » ..وهــذا هو قبر شعبها. ومنذ عامين جاءت سحابة على مدينة « كور » ووقع على النــاس مرض غريب .. انقلب لونهم اســـود

وماتوا .. ماتوا .. الأغنيـــاء والفقراء ، المســنون والشــباب .. وكان الموتى اكثر من ان يحتفظ بهم حسب عادات شعبى .. وهكذا القيت الجثث فى حفرة عميقة تحت الحجر المستدير .. القلة الباقيــة الذين بقوا ذهبوا الى الساحل واستقلوا ســفينة وابحروا متجهين شمالا .. انا جونيو الذى يكتب هــذا آخر رجل نرك حيا فى هذه المدينة العظيمة » .

ـ هل فكرت يا « هوللى » أن شعب « كور » الذى ابحر شــمالا هو الذى انجب المصريين القدماء الأوائل ؟ تعال وسأريك المكان العميق الذى تتحدث عنه الكتابة .

تبعتها الى ممر جانبى وهبطنا بضع درجات ثم سرنا فى ممر يتجه الى اسفل وفجــاة انتهى الممر .. ورفع الخدم مصابيحهم ورأيت منظرا لن اراه مرة ثانية أو أرغب فيه ..

كنا واقفين على طرف حفرة عميقة فى الصخر..

وعميقة بحيث ان كنيسة القديس بول فى لندن كان يمكن ان توضع فيها . ولكنى رايت أنها ملئت بكومة كبيرة من العظـام ، آلاف الأجـداث من العظام الميتة وبعض العظام بيضاء وبعضها بجـلد جـاف لايزال ملتصقا بها ..

اطلقت صرخة عجب وخوف . وكان لصــوتى صـــدى يدوى فى فضاء هــذه الغرفة .. وتدحرجت راس كانت قد بقيت آلاف السنين ساكنة على قمـة الكومة .. وتدحرجت أحجار أخرى كثيرة كانت تسقط فى اثرها كما لو كانت الحياة قد دبت فى المكان كله .

قـلت : دعينـا نذهب . لقـد رأيت ما فيـه الكفايـة ..!

والتفت الى ممر جانبى يؤدى الى مكان بعيد عن الطريق الذى جئنا منه ..

قـالت : حتى عند حدوث المرض العظيم احتفظ شعب كور دائما بموتاهم .. وسترى !



كانت مملوءة بكومة كبيرة من العظـام ..

ودخلنا غرفة صغيرة مثل هذه التى نمت فيها عند أول وقوف لنا بالمكان . ولكن كان فيها رفان حجريان وعلى كل رف منهما يرقد جسد مغطى بقماش ..

قالت : ارفع الغطاء يا « هوللى » ! ..

وعندما تأخرت أنا جذبته « هى » نفسها .. وهناك رأيت امرأة راقدة وكانت فى حوالى الخامسة والثلاثين من العمر . وكان وجهها بادى الكمال .. كما فى الحياة .. كما لو كانت نائمة .. وفى ذراعيها طفل ضغط بوجهه على صدرها . منظره جد جميل وحزين بحيث أدرت وجهى بسرعة !

وعلى الرف الآخر كان زوجها وهو رجل عجوز وذقنه شيباء .. أعتقد أنه قد مات منذ عدة سنين وجاء أخيرا ليستريح بجانب زوجته وطفله ..

دهبنا الى عدد من المقابر المماثلة ، فى بعض منها

كان « الحفظ » سيئا .. وبلمسة واحـدة تسقط الجثة غبارا .. ولكن معظمها وكأن الموتى المحفوظون فيها فى حالة نوم ..

وقالت اخيرا : تعـال .. سأريك « تيســنو » الملك العظيم !

قـلت : لقد رأيت ما فيه الكفاية .. خذبنى بعيدا .. !!

(٢١) ((عائشة)) .. و ((ليو))

عندما عدنا الى غرفة « عائشة » اســـتدارت نحوى وقــالت :

ــ سآتى وسأرى هــذا الشاب الذى تسميه الأســد .. لابد أن يكون المرض قد سار فيه سيرته ، واذا كان سيموت فانى سأنقذه .. اذهب اليه ! وسآتى

عندما اكون قد جهزت ما نحن فى حاجة اليه .

ووجدت « جوب » و « أوستين » فى حالة من الحزن وقالا :

ــ « ليو » يموت !! لقد كنا نبحث عنك فى كل مكان ..

رايت انه فى خلال ساعة ، او ربما فى بضع دقائق سيكون من المستحيل معاونته .. وكنت شديد الغضب لأنى تركته . كان « جوب » يبكى بصوت مرتفع . وعندما نظرت اليه خرج ليخفى نفسه واحزانه . ثم عاد جاريا وقد وقف شعر راسه من الفزع !

صاح : الا فليسعدنا الله يا سيدى .. ها هنا واحد من القبر قادم من الممر ؛ عونا .. !

علمت أنه لابد أنه راى « عائشة » فى ملابسها القبرية .. جاءت الى الفرفة .. وجرى « جوب » خائفا مرتاعا الى الزاوية .

قلت : لقد جئت فى الوقت المناسب يا عائشة . . ذلك أن الولد يرقد الآن فى لحظات الموت !

قـالت : اذا لم يكن ميتا بالفعل فانى أستطيع أن أرده الى الحياة . . قل لهذا الرجل وهـذه الفتاة ان يتركانا . .

ذهب « جوب » على الفور ولكن « أوستين انتظرت **وهمست** : ماذا تريد « هى » ؟ . .

وكانت « أوستين » مقسمة النفس بين خوفها من الملكة وقلقها على « ليو » .

ــ أليس من حق المرأة أن تبقى مع رجلها ؟

قالت عائشة : اذهبى !!

وعندئذ هوت « أوستين » على يديها وركبتيها وخرجت من الغرفة . .

ذهبت عائشة الى السرير الذى رقد عليه « ليو » وجذبت الغطاء لتنظر الى وجهه . سمعت صرخـة

ملوية ورايتها تسقط الى الخلف كما لو انها صعقت .. !

قالت : ما الأمر يا عائشة ؟ اهو ميت ؟

قفزت نحوى كحيوان غاضب : يا كلب ؟ لماذا اخفيت عنى هذا ؟ ها هنا يرقد « كاليكريتس » الضائع الذى جاء الى فى النهاية !!

ثم بدأت تبكى وتضحك .. مثل أية امرأة أخرى فى لحظة سعادة كبرى ..

قالت : اذا لم تفعلى شيئا تساعدين به رجلك « كاليكريتس » فانه لن يلبث أن يضيع ولن تنفعه مساعدة ..

اخذت وعاء من تحت ثوبها **وقالت** :

ـ صب هذا فى فمه .. بسرعة ! .. انه يموت . !!

كان هذا هو الوقت الملائم فقد كان وجه « ليو » رمادى اللون . وبدات انفاسه تهوى وسقط فمه مفتوحا وامسكت عائشة براسه وصبت السائل فى فمه .

وطرا عليه تغيير طفيف أصبح وجهه أزرق ؛ وبدأت ضربات قلبه التى كانت ضعيفة قبل هذا ، بدت وكأنها تتوقف . ونظرت الى عائشة .. كانت ما تزال تمسك براس « ليو » .. وكان وجهها أبيض وعيناها عميقتين كبحار الحب والخوف .. وكانت لا تعرف اذا كان سيعيش أم سيموت ..

ومرت خمس دقائق . ورأيت أنها تفقد الأمل..
قلت : هل تأخر الوقت ! ؟

اخفت وجهها بيديها ولم تقدم اجابة .

ثم سمعت نفسا يجذب بعمق ورأيت حين نظرت الى اسفل خطا من اللون يظهر فى وجهه بطيئا .

همست : لقد انقذ !

وبدات تبكى كما لو كان قلبها قد بدأ يتفجر ثم توقفت .

ـ سينام اثنتى عشرة ساعة .. وعندما يستيقظ سيكون المرض قد تركه !

ووضعت يدها على رأسه ولمست شعره الذهبى .. ثم قبلته برقة بالغة ووقفت !

(٢٢) اذهبى يا امرأة !

وقفت عائشة لحظة ثم جاءتها فكرة ..

قـــالت : كـدت أنسى ! .. هـــذه المـراة « أوستين » .. ما هى بالنسبة ألى « كاليكريتس » ؟ اهى خادمته ؟

ـ ان الذى افهمه هو انها ، بالنســبة لتقاليد

شعب الأحجار تعتبر زوجته ، ولكنى لست أدرى ..

واسود وجهها من الغضب **وقالت** : واذن فانها يجب أن تموت !

صرخت قائلا : لماذا ؟ لماذا ؟ ! ماذا ارتكبت من خطأ ! ؟؟ أم تراك ستظهرين سعادتى بعودة « كاليكريتس » بأن تقتلى شخصا يحبه .. تقولين انك فى الماضى قد ارتكبت شيئا خطيرا الى هذا الرجل ، وانك بيديك قتلت هذا الرجل بسبب « آمنارتاس » المصرية التى أحبها .

ـ كيف عرفت هذا ؟ .. لم اقل لك هذا ابدا !

وكانت هذه مفاجأة لى !! فانا لم اقل شيئا ابدا عن الصندوق الحديدى والأشياء التى يحتويها .

قلت : ربما جاءتنى هذه الأشياء فى الحلم ..

ولكنها لم تكن تصغى الى .. ووقفت صامتة لحظة ، **ثم بدت كانها تفكر بصوت مرتفع** : « نعم

سأسلك سلوك الرحمــة .. فلست امرأة قاســية ولا أحب ان ارى الآخرين يتعذبون او ان اكون ســببا فى ذلك » .

ثم استدارت الى **وقــالت** : دعها تأتى بسرعة قبل ان اغير رأيى !

وخرجت بسرعة الى الممر وناديت « أوستين » .. فجرت نحوى **وقالت** :

ـ هل مات سيدى ؟ قل انه ليس ميتا !!

ـ انه حى . « هى » قد انقذته ..

وهوت « أوستين » على يديها وركبتيها عندما وجدت نفسها امام عائشــة ..

قالت عائشة فى ابرد صــوت لها : قفى ! .. تعالى هنا .. من هذا الرجل ؟ !

ـ انه زوجى . اخذته بناء على عادات شعبى يا مليكتى !

ـ لقد فعلت فعلا شريرا بأن اخـذت هـذا الرجل الذى هو غريب عن البلاد .. انه ليس واخدا من شعبك .. والقاعدة لا تنطبق عليه . عودى الى مكانك ولا تجسرى مطلقا على الكلام معه أو رؤيتـه مرة اخرى .. اذهبى !!

ولكن « أوستين » لم تتحرك ..

ـ اذهبى يا امراة !!

ورفعت « أوستين » راسها . وقالت :

ـ كلا لن اذهب .. انه زوجى وانا أحبه ولن اتركه وليس لك الحق فى أن تأمرينى بترك زوجى !

وقلت انـا : الرحمة يا عائشة الرحمة !!

قالت عائشة ببرود : لو لم تكن عندى رحمـة لكانت الآن من الأموات .. اذهبى يا امراة .. قبل ان ادمرك !!

ـ كلا لن أذهب .. انه رجلى .. رجلى أنا .. لقد أنقذت حياته .. لن اذهب أبدا .. ابدا !!

وخطت عائشة خطوة نحوها بهذه السرعة التى لم أستطع أنــا رؤيتهــا .. ويبدو لى أنهــا ضربت « أوستين » بخفة على راســها بيدها .. ووضعت الفتاة يديها على رأسها وسقطت الى الوراء .. ونظرت أنا اليها واطلقت صرخة ، ذلك أنه هنالك فوق شعرها الداكن ثلاث من علامات الاصبع ، بيضــاء كأنهــا الثلج ..

وضحكت عائشة : اتظنين إيتها الفتاة الطائشة أننى لا استطيع أن أقتل ؟ انظرى فى هذه المرآة .. ثم اذهبى الآن قبل أن أضربك مرة ثانية !!

ونظرت « أوستين » فى مرآة « ليو » المعلقــة على الحائط .

ــ لو رأيتك مرة اخرى فستكون عظامك أكثر بياضا من العلامات فوق راسك !

وخرجت الفتـــاة المسكينة من الغرفـة وهى تجرى .. واستدارت عائشة نحوى وقالت :

ـ ســـأنبىء خـدمى ان يحمـلوا ســـيدى « كاليكزيتس » الى غرفة بالقرب منى حتى استطيع ان اسهر عليه حين يستيقظ .. وستأتى انت ايضا . ومعك خادمك .. ولا تقل « لكاليكريتس » كيف ذهبت هذه المراة ولا تقل الكثير عنى !

وخرجت ، وبعد ذلك بقليل جاء الخدم لينقلوا حوائجنـا ..

(٢٣) حفـلة الرقص .

جاءت اللحظة التى رات « عائشة » ان « ليو » سوف يستيقظ فيها وقـالت :

ـ سترى يا « هوللى » إنه عنـدما يسـتيقظ سيكون المرض قد تركه .. !

واذ قالت هذا كان « ليو » قد اسـتدار وفتح

عينيه .. وقال لتوه اذ لمح « عائشة » : هاللو « أوستين » .. لماذا غطيت راسك هكذا ؟ ! .. هاللو « جوب » .. الى ماذا وصل بنا الحال . ! ؟

فقال « جوب » : لا أعرف فى الحقيقة يا سيدى .. ساذهب واحضر لك بعض اللبن . !

ونظر « ليو » مرة أخرى الى « عائشة » **وقال** :

ـ ليست هذه « أوستين » .. أين « أوستين »؟

قالت « عائشة » : لقد ذهبت وأنا الآن مكانها !

وبعد ذلك بقليل خر « ليو » نائما من جديد ..

وفى اليوم التالى كان بخير تقريبا وكان جرحه قد اندمل .. وظلت « عائشة » تعنى به .. ولكنه استمر يسأل عن « أوستين » .

وكان شديد الفضول حول « عائشة » وطلب كثيرا أن يرى وجهها .

ومع أنى لم أقل شـــيئا فقد اعتقد أنها كانت السيدة التى تكلم عنها الابريق المحطم .

وفى اليوم الثالث ، بعد أن انتهينـــا من تنـــاول الافطار ، ذهبنا الى غرفة « عائشة » كان « ليو » يريد أن يقدم اليها شكره على انها عملت على شفائه .. ولكى يسألها عن « أوستين » ..

قالت « عائشة » : احييك .. كما انى سعيدة لرويتك بخير من جديد !

انحنى لها « ليو » ثم شـــكرها من جديد على ما فعلت .. وقال لها هذا بافضل ما لديه من صيغة عربيـــة .

واجابته هى قائلة : ارجو أن يكون خدمى قد

بذلوا أقصى وسعهم للعناية بك .. أهناك شىء يمكن أن أفعله من أجلك .. ؟

قال « ليو » : نعـــم اريد ان أعـــرف أين هى السيدة ، أعنى « أوستين » التى كانت معى .. ؟

فقالت « عائشة » : آه .. نعم .. الفتاة .. نعم لقد قالت انها ذاهبة .. ولقد رتبت الأمور لاجراء حفلة رقص مساء اليوم .. ربما راقك ان تحضرها .. لكن دعنى اولا اعرض عليك بعض عجائب الكهوف والمغارات ..

لم يكن « ليو » يستطيع ان يلقى المزيد من الأسئلة .. وارسلت « عائشة » خادمتين ليحضرا المصابيح ويرشدا الى الطريق . وعرضت عليه الكتابة المدونة فى الكهف الكبير ، وعلى الحجر المستدير ، وفى المكان العميق .. وعرضت عليه أيضا الكثير من الموتى المحفوظين فى الكهوف .. وكان « ليو » طبعا شديد الانبهار بكل ما رآه اما « جوب » فقد اصابه الرعب .

وبعد أن تناولنا وجبتنا بقينا قليلا ثم عندما جاءت الساعة السادسة ، عدنا الى غرفة عائشة .. وكان « جوب » ما يزال مرعوبا اذ جعلوه ينظر الى

« صــور موجودة فى المـاء » .. ثم جـاء « بلال » ليخبرنا بأن الرقص على وشك أن يبدأ .

كان الرقص سيدور فى الهــواء الطلق فى المكان الفسيح الواقع أمام المغارة .

وكان الليل يوشك أن ينسدل .. وتساءلت أنا عما يمكن أن نكون قادرين على رؤيته من الرقص .

وفجأة رأينا رجالا يعدون من كل مكان حاملين أشياء تشتعل فوق اكتافهم .. ثم اخذوا يلقون هذه الأشياء فى أكوام وسط المكان الفسيح . وكان « ليو » أول من اكتشف حقيقة ما يحملون .

صاح قائلا : يا للسماء . ! هذه الأشياء المشتعلة هى أجســام الموتى .. تلك الجثث المحفوظـة التى رأيناها .. وهى التى تحترق كالشمع . !!

وكان نور الاضاءة قد اعد .. وجاء الراقصون . كان هنـاك حوالى مائة رجـل ومائة امرأة . جاءوا

صامتين يسيرون فى صفين . وأديت الرقصة فى سكون تام .. وبدا وكأنها رقصة تروى قصة قتل مرعبة ! . ولكنى لم أفهمها تماما . كانت كلها قصة بشعة رديئة !!

ثم رأيت ما بدا وكأنه قرد أو سعدان يمشى حول النار ، ثم جاء أسد ، ثم قطعان من الماشية وصفوف من الظبيان وحيوانات النهر وثعبان كبير وكان كل هؤلاء بشرا . يرتدون جلود الحيوان . ولما اجتمع جمعهم بدأوا يرقصون ويحدثون أصواتهم الحيوانية المختلفة ..

وسألت « عائشة » عما اذا كان يمكننى أن أذهب انا و « ليو » نتمشى قليلا حتى نستطيع أن نرى الحيوانات عن قرب ..

وبدأنا ندور من جهة اليسار ..

ولاحظت أن احدى الراقصات كانت لبؤة خفيفة الحركة نشيطة قد فصلت نفسها عن الراقصين

وفجأة أخذت هذه الراقصة تجرى أمامنا فى الظلام البعيدة . وعندما مرت بنا سمعنا كلمة « تعال ! » .. وكان هذا صوت « أوستين » .. !

واستدار « ليو » على الفور وتبعها ، وسرت أنا وراءه وقد اثلج أطرافى خوف شديد من هذا الاجتماع !!

وسمعتها تهمس : يا للسماء .. ! اسمع .. انى أعيش فى خطر على حياتى من هذه ـ التى ـ يجب أن تطاع .. ألم يخبرك « السعدان » كيف طردتنى ؟ لقد انقذت حياتك مرة .. وانت لن تتركنى الآن وتتخلى عنى !!

فقال « ليو » على الفور : كلا .. طبعا !

ـ هناك شىء واحد نفعله . يجب أن نهرب !! خلال الأرض المنخفضة !! يجب أن نهرب بسرعة !! بل انها ربما تسمع الآن أصواتنا !!

وألقت نفسها بين ذراعيه ، فسقط عنها رأس اللبؤة . ورأيت أنا العلامات ، علامات الاصبع البيضاء على شعر رأسها الملتمع فى ضوء النار ثم سمعت ضحكة صغيرة وراءنا ..

كانت « هى » .. ومعهـــا « بـــلال » ، .. وخادمان . !!

(٢٤) السحر .

ساد سكون مخيف ..

وقالت « عائشة » اخيرا : « أوستين » ما كان لى أن الحظك لولا اننى رايت تلك العلامات البيضاء على شعرك !

وأبدت اشارة فجاء الخادمان وامسكا بالفتاة

من كل ذراع . وقفز « ليو » الى الأمام والقى بواحد من الرجلين الى الأرض ..

ـ لقد احسنت القاء ذلك الرجل .. ولكن دع الرجـل الآن يفعل ما أمرته به .. لن يحـدث أذى بالفتاة على الاطلاق .. ان هواء الليل بارد وسيحملها الى غرفتى ..

وذهبنا الى غرفة « عائشة » وامرت « جوب » و « بلال » ان يذهبا ، **واستدارت الى وقالت** : اكان هذا من عملك ؟

قـلت : لا ..

قـالت : واذن فالخطـأ خطأها . الديك شيء تقولينه يا امرأة ؟

ورن صوت « أوستين » غنيا واضحا ..

وقـالت : لست ملكة ولا سحر لدى .. ولكن قلب المرأة يمكن ان يعرف .. وهنـاك أيضا ضـوء

يومض داخل نفسى وبهذا الضوء فانى أستطيع ان أرى الحق .. عندما عرفت سيدى لأول مرة عرفت ان الموت سيكون ثمن حبى ، ولكن حبى كان أقوى من الموت .. وأنا أعلم الآن ، وأنا على حافة الموت ، أعلم أنك لن تكسبى شـيئا على الاطـلاق بقتلى .. انه رجلى ، رجلى ، رجلى دائما .. ولن ينظر اليك فى عينيك أبدا ويدعوك زوجته . ان نهايتك قريبة . انى أرى .. !

وكانت هناك صرخة فزع وغضب ، لقد نهضت « عائشة » ومدت ذراعها نحو « أوستين » ونظرت اليها .. وعندما نظرت بدت عيناها كأنهـا نـار !! ووضعت « أوستين » يديها على رأسها وأطلقت صرخة واحـدة وسقطت الى الخلف هاويـة على الأرض . واسرعت اليها أنا و « ليو » ولكنها كانت ميتة .. !

وقف « ليو » واستدار نحو « عائشة » .. كانت قد رفعت النقاب عن وجهها . وثبتت عينيها اللامعتين العميقتين عليه .. وزال الغضب من وجهه .. ووقف

هنــاك كأنه تحول حجرا .. ورأيت قوة سحرهــا تسيطر على ذهنه ، وجمالها يجذب منه قلبه ورأيته يناضل ويستدير كأنه سيهرب ، ولكن عينيها أمسكتا بــه .

وبدأت تغنى بصوت خفيض ..

وجاء اثنان من الخدم بسرعة الى الغرفة وحملا جثة « أوستين » الى الخارج ..

(٢٥) الميت والحى يلتقيان

واستيقظت كأنى كنت فى حلم .. لقد توقفت « عائشة » عن الغناء ..

تحركت « عائشة » وأعطت « ليو » مصباحا .. وتبعناها .. وقادت الطريق هابطة من سلم ، وكان السلم شديد التآكل .

قـالت : لقد أبلى وقع خطواتى ، طيلة ألفى عـام ، هذا الصخر !

وذهبنا بطول ممر وجئنا الى ســتار لم اكن قد رايته قبل الآن .. **وقالت** :

ـ لقد رقدت هنا ، ليلة بعد ليلة ، منذ ذلك اليوم .. هنا حيث يرقد . تعال يا من أملكه وانظر الى هذا الشيء الرائع .. أنظر نفسك يا «كاليكريتس» كما راقبتك كل هذه الأعوام !

وجذبت القماش عن الهيكل الراقد على الصخر البارد .

ـ انظر كيف يلتقى الحى مع الميت .. !!

وامامنا رقد لابسا الأبيض ومحفوظا حفظا كاملا ما بدا لنا انه جسم « ليوفينسى » ونظرت أنـا الى « ليو » ، واقفا هناك حيا و « ليو » راقـدا هناك ميتا ، ولم أستطع أن أرى اختلافا .. !

وقف « ليو » ينظر الى هـذا الشيء ولم يقل شيئا . ثم همس قائلا : غطه !

قـالت : انتظر .. ان عملى الشرير لا ينبغى أن يخفى عنك افتح الغطاء فوق الصدر يا « هوللى » !

وازحت القمـاش جانبـا . وهنـاك ، فـوق القلب ، كان يظهر أثر من جرح حربـة .. وقـالت « عائشة » :

ــ لقد قتلتك .. وكان ذلك فى « مكان الحياة » بسبب المراة المصرية « امينارتاس » .. ولكن هـذه الجثـة الباردة الآن ليست الا ذكرى .. لقـد انتهى عملهـا .. .

واخـذت جرة كبيرة من رف عـال . ونزعت الغطاء وقبلت الوجه البارد . ثم صبت السائل من الجرة فوق الجسم . وصعد دخان كثيف فملأ الكهف كله حتى لم نستطع أن نرى شيئا . وعندما تفرقت السحب أخيرا وذهبت بعيدا عن المكان الذى كانت فيه الجثة رأينا فقط كومة من الرماد الأبيض !

قـالت : الآن اتركنى ونم لأننا سيكون علينـا ان نذهب عند المساء فى رحلة طويلة .

ولست أدرى كيف وصلنا الى غرفتنا .. وعندما وصلنا سقط هو على سريره وكاد يبكى ..

وقـال : لم أكن مستطيعا أن أمضى .. ولم أكن مستطيعا ان أتركها .. قدماى لم تستطيعا حملى ، وكان ذهنى صافيا وكنت اكرهها داخل عقلى ، أو على الأقـل فانى اظن ان الأمر هـكذا . ولكنى اعلم انى سأفعلها غدا مرة ثانية . وانا واقع فى قبضتها الى الأبـد !

وأنا ايضا رأيت « عائشة » بلا قناع . ولم ادر بماذا أجيب .. وأعلم ان ما قاله كان صادقا ..

(٢٦) خطـة عائشــة

في اليوم التــالي ذهبت أنا و « ليو » في جولة طويلة ، فشاهدت شعب الأحجار يعملون في الحقول . . كان البعض يلقون البذور من أجولة معلقة على أكتافهم ، كما كان الرجال في انجلترا يفعلون منذ مئات السنين . لقد كان أمرا مريحا للنفس أن يرى المرء مجموعة من

الناس البسطاء يفعلون أشـياء بسيطـة . وتكلمنـا قليـلا .

وبعد تنـاول وجبتنا خرجت وسرت من جديد وعندما عدنا قابلنا « بلال » وامرنا أن نذهب لرؤيتها .

وعندما انصرف الخدم طلبت الينا « عائشـة » ان نجلس ثم **قـالت :**

ـ يا كاليكريتس ، قبل أن نصبح رجلا وزوجته يجب أن تصبح مثلى : بلا موت !!

وعجبت ماذا سيحدث بعد هذا .. **واستمرت « عائشة » قائلة :**

ـ سنبدأ هذا المساء قبل غروب الشمس .. وبليل الغد سنكون قد وصلنا « مكان الحياة » .. وهناك ستستحم فى النار وتخرج منها كما لم يخرج رجل من قبل أبدا .. !

ولم استطع أن اسمع ماذا أجاب « ليو » على هذا المشروع المثير **ومضت فقالت :**

ـ وانت يا « هوللى » .. لقد اسعدت قلبى باعمالك ولذلك فسوف تجىء معنا .. !

لم يكون بى رغبة ان اجعل حياتى اطول مما أعدته الطبيعة ولكنى لم اقل شيئا . وساد بعض الصمت ثم سالت :

ـ قل لى يا كاليكريتس كيف حدث انك جئت تبحث عنى ؟

فاخبرها بقصة الصندوق الحديدى وما فيه من كتابة ..

وعندما انتهى سالت « هى » : واذن فان « امينارتاس » التى كرهتنى هذه الكراهية كانت هى، فى النهاية ، سبب مجيئك الى هنا .. والآن اخبرنى عن بلادك انك طبعا تحب أن تعود اليها .. فانى لا أعنى ان عليك ان تعيش فى كهوف « كور » الى الأبد وانه ليسعدنى أن تتركها .. ستحكم انجلترا .. !

ـ ولكن لدينا ملك وملكة بالفعل !

فقالت عائشة : هـذا أمر لا يهم فانه يمكن طردهما او قتلهما !!

وحاولنا أن نفسر لها أننا نحب ملكنا ومليكتنا وانه ليست لنا اى رغبة فى تدميرهما .. ولكن بلا جدوى ..

قالت : هذا شيء غريب ! ملك وملكة يحبهما الشعب . لقد تغير العالم كثيرا منذ جئت الى « كور » . انى لا أفهم ما تقول ..

وحاولنا أن نفسر كيف ان بلادنا يحكمها شعبنا وكيف تصوغ قوانينها .. **فضحكت وقالت** :

ــ القانون ! أنا فوق القانون..والآن اتركونى.. واستعدوا للرحلة !

وبدا الاجتماع كله كحلم ردىء . وعندما سرت عائدا الى غرفتنا جال فى خاطرى كيف انه يحدث لو كان بلد على رأسه ملك لا يموت أبدا .. أظن ان ذلك يتوقف على مدى ما فى هذا الملك من طيبة أو شر ... !

(٢٧) خـــرائب كــور

لم تكن الرحلة لتدوم أكثر من ثلاثة أيام ، لذلك اخذنا ثيابا نظيفة وحملنـــا بنادقنـــا . وعند غروب الشـــمس ذهبنـــا الى غرفـــة .« عائشة » ووجـــدناها مستعدة تماما . وعند فتحة مدخل الكهف كان هناك فى انتظـــار « عائشــــة » مقعد وستة رجـــال ومعهم « بـــلال » . أما نحن الآخرون فكان علينا أن نمشى ولم يكن يراقبنا أحد ونحن نبدأ السير .. وأعتقد

أن كل الناس قد أمروا بالابتعاد حتى لا يعرف أحد اننا قد رحلنا .

ثم قطعنا الطريق عبر الوديـان التى كانت مرة قاع بحيرة . وبعد ان ظللنا سائرين حوالى نصـف ساعة اقتربنا من خرائب مدينة « كور » القديمة ..

كانت الشمس تغرب عندما وصلنا المكان وسرنا عبر قنطرة تقودنا الى المدينـة .. واذ وقفت على الجسر نظرت الىاسفل حيث تمتد أميال من الخرائب: منازل الأغنياء الكبيرة .. ومنازل الفقراء الصغيرة .. والحدائق التى زادت فيهـا النبات عن طوقهـا .. والطرقات المتقاطعة .. والميادين المربعة والأسقف التى آلت الى الانهيـــار .. وكانت الأشـجار والأعشاب الكبيرة قد انبثقت الآن من-بين الأحجار الكبيرة التى مدت فوق الطرقـات ، الا أن المرء كان يستطيع أن يتصور شكل ما كانت عليه الأشـياء .. فى ضـوء الشمس الأحمر وهى تغرب ..

كان فى وسط المدينة بناء جد كبير .. وكانت

حوله عدة أروقة ، الواحد منها داخل الآخر .. كان هذا مكان الآلهــة التى يعبدها شــعب « كور » .. ووقف خدم « عائشة » فى مدخل هذا المبنى المركزى.

وقالت « عائشة » : يوجد هنــا مكان لكم أن تقضوا فيه الليل . ومنذ ألفى عــام جئت هنا أنــا وكاليكريتس والمرأة المصرية .. لعل هــذا المنزل قد هوى منذ ذلك الحين .

وصـعدت (هى) بضع خطوات فى الممر الخارجى ونظرت فيما حولها ثم قالت : « انه هنا » !!

وصعدت (هى) الى حجـرات كانت محفورة بداخل الحائط .. ودخلنا .. وتناولت أنا و « ليو » و « جوب » وجبة طعام ، وأكلت « عائشة » بعضــا من الفاكهة ..

وقالت « عائشة » : لقد أتيت بكم هنــا حتى يمكنكم أن تروا القمر يسطع فوق خرائب « كور » .. وعندما تتهيأون سنخرج ونشاهد أطلال هــذا المكان

ونرى رب شعب « كور » الذى كانـوا يعبدونه فيما مضى .

. ومررنا فى بهو بعد بهو .. اخذ كل منا يهمس الى الآخر .. وسط السكون ، بين قاعات بلا أسقف وأمام نوافذ عالية يضيؤها القمر .. وسقط الضـوء الأبيض على السكون المنقطع الأنفاس لا يقطعه الا صوت خطواتنا .. ودقيقة بعد دقيقة ظلت الأشباح الصامتة تتحرك عبر الأفنية التى نمت فيها الحشائش ..

قالت « عائشة » اخيرا : تعالوا وسأريكم اعظم روعة فى المكان .. سأريكم الربة التى عبدها شـعب « كور » !

ودخلنا الى أقصى الأفنية فى الداخل وفى وسطه كان مربع كبير من الصخر وفوقه كرة من حجر أسود عرضها عشرون قدما .. وينهض فوق الحائط تمثال يصور امرأة ذات اجنحة منبسطة مصنوعة من الحجر

الأبيض الصافى .. كانت ذراعاها ممدودتين وعيناها عليهما نقاب .

سألت : من هى ؟

قالت « عائشة » : الا تستطيع ان تخمن ؟

وقادت جماعتنا الى قدم التمثال وقرأت الكتابة المحفورة فى الصخرة :

اجذب النقاب وانظر الى الحق ..

وجها لوجه ولكن الموت نفسه ..

هو الذى يمكنه ان يجذب النقاب ..

وقالت « عائشة » : كان الحق هو الهة شعب « كور » !

(٢٨) داخل جبل النار

فى اليوم التالى استيقظ الخـدم قبل ان يظهر ضوء النهار ، ووجدنا « عائشة » مغطاة بمعطف داكن اللون ، تنتظرنا فى الخـارج ولاحظت انها بدت اكثر حزنا وقلقا ..

سألها « ليو » : هل نمت جيدا ؟

قـالت « هي » : يا كاليكرايتس لقـد دهمتنى احلام رديئة ولست أدرى ماذا تعنى هـذه الأحلام .. ولكن كيف يمسـنى أى شر ؟ انى أتسـاءل .. اذا ما حدث لى شيء أتراك تفكر فى برقة .. ؟

ولم تنتظر اجابة .. وسريعاً ما تركنا المدينـة المخربة وراءنا .. وعند منتصف نهار اليوم توقفنـا لراحة قصيرة وتناول وجبـة طعام .. وفى السـاعـة الثانية كنا عند سفح جدار عال من الصخرة ينهض حوالى ألف وخمسمائة قدم .

قالت « عائشة » : ان الناس يسمون هذا المكان جبل النار .. ولكن أحدا لا يجرؤ أبدا على الاقتراب منه ونحن نترك الخدم هنا .. وانت يا « بلال » امكث معهم .. ولك أن تنتظر تحت هذه الأشجار هناك .. ونحن سنعود الى هنـا غدا عند الظهر .. واذا لم نحضر فعليك أن تنتظر .

واشـارت هي الى « جوب » **وقـالت** : هـذا

الرجل من الأفضل ان ينتظر .. الا اذا كانت لديه الشجاعة الفائقة .. ان اسرار المكان الذى سنذهب اليه ليست للأعين العادية .

قال « جوب » عندما سمع هذا : لا استطيع ان ارى الآن ابشع مما رايت .. ولا أحب ان تتركونى هنا مع هؤلاء النـاس الذين لا يستطيعون ان يقولوا كلمة .. وقد يضعون القدر على راسى .. انى أفضل ان آتى معكم !

قـالت « عائشـة » ، عندما اخبرتها باجابـة « جوب » : حسنا .. دعوه ياتى ! .. دعوه يحمـل اللوح الخشبى !

واشارت الى لوح خشبى يبلغ طوله خمسة عشر قدما قد ثبت فى المقعد الذى حملت فيه « عائشة » .. حمل « ليو » الطعام والشراب وحملت أنا المصابيح وكذلك وعـاء الزيت .. وذهب « بلال » والخدم ..

واستدارت « عائشة » ونظرت الى التل ..

هـذا ؟ !

وقلت أنـا : يا الله .. انحن ذاهبون لنصعد

وتقدمت « عائشـــة » ، قافزة من صخرة الى صخرة بخفة رائعة ورشاقة كبيرة ، ونحن طبعا كان علينا أن نتبع وأن نساعد « جوب » وهو يحمل لوحه ويمضى ..

وسريعا ما وصـلنا الى رف ضيق من الصخر وكان يزداد سعة عندما سرنا فيه .. الا ان طرفـه الخارجى أصبح اعلى واعلى وفجـأة انتهى هـــذا الممر فى كهف الى اليمين .. وكان كهفا طبيعيا وربما كان نتيجة انفجار غازى كبير ..

أمرتنى « عائشة » أن أشـــعل المصباحين وان اعطيها أحدهما ، ثم قادت الطريق هابطـة الى الكهف متخيرة الطريق بحرص شديد .. فقد كانت هنـاك احجار كبيرة وفتحـات يمكن للواحد أن يدق فيهـا عنقـه .

ومضينا قدما فى هذا الطريق لعشرين دقيقـة

او اكثر ثم وقفنا .. واذ حاولت ان انظر امامى فى الظلام هبت ريح قوية واطفأت المصباحين !

نادت علينا « عائشة » ، وتحسسنا طريقنا الى الأمام ورأينا امامنا شقا كبيرا فى الصخور .. كان ضوء النهار يضيئها اضاءة ضعيفة من أعلى ، وسقطت الصخرة بعيدا هابطة فى الظلام ولم نستطع أن نرى الجانب الآخر من العتمة .. ولكن انزلقت الصخرة التى كنا واقفين فوقها الى الأمام حتى نقطة بالغة الضيق فى مقدمتها .. كنقطة سن القلم !

قالت « عائشة » : اتخذوا الحذر !! لا تنظروا الى اسفل او تتركوا الريح تقتلكم فان هذا المكان لا قاع له !!

وبدات تسير بحذاء النقطة النهائية المستدقة تاركة ايانا نتبعها وكنا أول العابرين لها .. وكان « جوب » ورائى يشد اللوح على الأرض و « ليو » فى النهاية .. وقبل ان أمضى بضع ياردات وجدت ان من الأفضل ان اسير مرتكزا على يدى وركبتى ..

وفعل الباقون مثلى .. وقـام « ليو » بمساعـدة « جوب » فى جر اللوح . ولكن « عائشـة » نهضت واقفة ضاغطة جسمها ضد الريح . وبدت لا تشعر بخوف أبدا ..

وسرنا عشرين ياردة ازاء الجسر الرهيب .. وفجاة هبت ريح قوية مندفعة الى الكهف . ورأيت « عائشة » تقف ثابتة ضـدها وفى مواجهتها .. ولكنها خلعت معطفها وعرضته للريح العاتيـة التى حملته بعيدا كطائر لا حول له ولا قوة . وامسكت انا بالصخرة التى بدت تهتز من تحتى .. وهنـاك ركعنـا ، بين الأرض والسماء ولا شيء تحتها سـوى الخـلاء .. بينما اندفعت الريح القوية من فوقنا بسحب دخانيـة مندفعة لازلت أحلم بها واستيقظ من نومى والرعب يتردنى حتى الآن !

صرخت « عائشة » وهى واقفة الآن مثل روح بيضـاء امامـ وقـالت : اماما !! اماما !! او انكم ستسقطون وتتقطعون قطعا .. ! .. ابقوا أعينكم على الأرض وامسكوا جيدا بالصخر !!

(٢٩) الحجــر المتــأرجح

وهكذا ذهبنا مسافة لا أدرى كم كان طولها حتى جئنا أخيرا الى ابعد نقطة من الصخر . وهنــاك بقينا ممسكين بأصابعنا فى الأرض بينما وقفت « عائشة » وشعرها يتطاير فى مواجهة الريح . والآن رأيت لمــاذا أخذنا معنا اللوح الخشبى ..

كان امامنا مكان خال ، وعلى الجانب الآخر شيء لم اتمكن من رؤيته ..

قـالت « عائشـة » : يجب ان ننتظر فـريعـا ما سيطلع الضوء !

لم استطع أن اتصـور ماذا تعنى فكيف يـكون هناك ضوء فى هذا المكان السفلى المظلم ؟

وبينمـا كنت لا ازال افكر فى هـذا الأمر واذا بسيف كبير من ضوء الشمس الغاربة يومض خـلال الظلمة الى هذه النقطة من الصخرة . واضـاء هذا النور الذهبى « عائشة » كلها بكل جمالها وروعتها ..

انه هذا الشـعاع من الضـوء هو الذى كانت تنتظره « عائشة » .. لقد دبرت اننا ينبغى ان نصل فى الوقت المناسب . ورايت على بعد اثنى عشر قدما من الصخرة ، على الجزء الآخر ، حجرا شبه بيضاوى ، طوله عشرون او ثلاثون قـدما واقفـا على ابرة من الصخر قائما بارزا فى الظلام .. واذ هبت الريح رايتها

تهب اماما وخلفا ، وهكذا بالضبط رتبت بحيث اشفقت أن تهب هبة ريح أقوى قد تستطيع أن تلقى بها وتسقطها ..

وقالت « عائشة » : هيا سريعا احضروا اللوح .. يجب أن نعبر بينما الضوء قائم باق .

قال « جوب » وهو يدفع اللوح امامه : يالله .. انها طبعا لا تعنى ان نمشى هناك فوق ذلك الشيء ..

دفعت « عائشة » باللوح تخرجه بحيث استقر طرف منه على الحجر البيضاوى الشكل ، والطرف الآخر على نقطتنا من الصخر ..

وقالت : منذ كنت هنا أخيرا فان هذه الصخرة لا تبقى ثابتة ولذلك فانى غير متأكدة أنها ستتحمل وزننا ولذلك فسأذهب أولا .. !

وجرت بخفة عبر الجسر وقالت هى من الطرف الآخر : انها آمنة . سأقف . سأقف عند الطرف

القصي بحيث لا يستدير الحجر تحت وزنكم . والآن تعال يا « هوللى » ان الضوء سريعا ما يزول ..

وهبطت على ركبتى .. وشجعتنى « عائشة » قائلة :

ـ طبعا انك لا تشعر بالخوف .. والآن أعط مكانا لكاليكريتس !

وقلت لنفسى : انى لأفضل ان اسقط هنا حتى لا تضحك منى عائشة !

وشعرت باللوح يكاد يضعف تحت وزنى . وانا كثيرا ما كنت أكره المرتفعات .. وبدا أن عينى تتحولان الى ســواد وظلمة .. وشعرت بالبرودة تسرى فى كل أنحاء جسمى . وبدأت قدماى وذراعاى يتحركان دون ارادة منى . واخيرا وجدت نفسى نائما على الصــخر الذى كان يتأرجح تحتى مثل قارب فى بحر عاصف !

وجــاء « ليو » جاريا عبر الجسر كمــا لو كان



كانت الصخرة تتارجح تحتى ..

يمشى على الحبال ، ومدت « عائشة » يدها له وقالت : هذا عمل شجاع !

وكان « جوب » الآن على يديه وركبتيه فى الناحية الأخرى من اللوح وقال : لا أجسر أن أفعل هذا !

وصحت به : تعال يا « جوب » .. لو بقيت هناك ستموت وحدك فان الضوء يتلاشى ..

وقال « ليو » : تعال يا « جوب » .. انه أمر بسيط جدا !

وجلب نفسه معتمدا على يديه وكانت رجلاه متعلقتين بكل طرف من اللوح وعندما وصل الى المنتصف ذهب الضوء وصرخت قائلا : تعال يا « جوب » ! ..

وكان الحجر الذى رقدت عليه يتأرجح ويتأرجح بحيث أصبح من الصعب تثبيته وهتف « جوب » من

الظلام : يارب .. رحمتك !! .. ان اللوح سيسقط !

وفى هذه اللحظـة سمعت اللوح يسقط ضاربا الحائط الصخرى فى طريق سقوطه !

وتساءلت قائلا : كيف سنعود آذن .. ؟ !

وقـال « ليو » : لست أدرى .. انى شاكر أننا هنا سالمين !

(٣٠) نـــار الحيـــاة

قالت « عائشة » : اعطنى يدك !

وشعرت كأن احدا يقودنى فوق طرف الحجر . . ومددت رجلى ولكنى لم أشعر بشىء .

قـــالت : دع نفســـك !

لم يعجبنى هـــذا . وشعرت بأنى أســـقط ثم

استقرت قدمى على ارض صخرية .. وكنت أشعر بالريح تهب من فوقى ولكنى فى النهاية كنت ما ازال فى الهواء الأمر الذى شكرت عليه الله . وسريعا ما جاء « ليو » جانبى ثم جاء « جوب » ..

وقالت « عائشة » : اشعلوا المصابيح !

ورايت أننا كنا فى كهف صغير ، عرضه حوالى عشرة اقدام وكان سقفه هو الحجر المتأرجح . ورايت « ليو » جالسا على الأرض ووجه « جوب » الخائف وهو يجلس جانبه و « عائشة » واقفة هناك بهدوء تنتظر اشعال المصابيح ..

وقالت : يمكنك ان تبقى هنا بعض الوقت للراحة .. لقد كان هذا المكان منزلا لرجل حكيم اسمه « نوت » عاش هنا وحيدا وعرف أسرار الطبيعة . اكتشف نار الحياة ، التى سأريكم اياها ! وعظامه ترقد هنا . لم يكن ليدخل النار لأنه كما قال ان الانسان يولد ليموت . لقد جئت الى هذه البلاد قبل وقت بعيد . واخبرنى بالسر ثم قابلت

« كاليكريتس » واحببته وقررت ان اجىء هنــا وان اتلقى نعمة العيش الى الأبد لكلينا . وعندما جئت رأيت الرجل العجوز ، « نوت » ، ميتا !

وضعت يدى واحسست ، بالتأكيد ، بين أصابعى باحدى الأســنان وبرأس بلا عيون ترقد قرب يدى اليسرى !!

وقــالت : نعم هذا هو كل ما بقى من حــكمة « نوت » .. وانت ، يا « كاليكريتس » عنـــدما لم تتبعنى الى النار اخذت الحربة التى تحملها وقتلتك . وبكيت لأننى لا اموت بينما تموت انت . هــاك ! هذا هو الحق !! لم اخف عنك شيئا . قل لى انك تغفر لى ذلك وتغفر لى قتلى لتلك الفتـــاة التى أحبتــك « أوستين » لأنها عصتنى !

ثم تكلمت ثانية وقالت : ارفع عنى نقابى .. بلا خوف كما لو كنت انا مجرد فتاة قرويــة ولست احكم ولا اجمل امرأة رآها العالم .. !!!

كان « ليو » شديد التأثر . لقد ذهب الآن سحر الملكة الغريبة .. فحتى الآن كان واقعا فى قبضتها مثل عصفور امسكت به عين ثعبان . الا ان الأمور قد تغيرت الآن . وادرك انه الآن يحب هـذه المراة الرائعـة الباهر !! ورايت عينيه تمتلآن بالدموع .. واخـذ يديها وأزاح نقابها جانبا ونظر فى عينيها العميقتين ، وقـال :

ــ « عائشة » .. انى أحبك وانى اغفر لك !

ونزلت على ركبتيها وضغطت يده على قلبها .. وقالت برقة :

ــ فى هذه اللحظة الأولى والرائعـة لحبنا اعدك بانى سـأترك الشر وابحث عن كل ما هو خـير .. وسيرشدنى صوتك فى ممر الواجب .. ولن ابحث ابدا عن ان اكون امراة عظيمة وانمـا سأبحث فقط عن حبك ورعايتك انت الذى عدت الى أخيرا ..

ووقفت وأخذت المصباح وفى نهاية الكهف كان هناك درج ، لم يصنعه الانسان وانما كان مجرد قطع

من الصخور قامت هنا وهناك ليكون منها درج .. وانتهت الى ممر بالغ الانحدار . ومضينا امامنا هابطين هابطين لمدة أكثر من نصف ساعة ... ثم وصلنا الى مكان من الضيق بحيث كان علينا أن نمر فيه واحدا بعد الآخر .. ومنه جئنا الى كهف من الكبر بحيث لم نستطيع أن نرى السقف او الجدران . وعلمنا انه كان كهفا فقط بصـــوت خطواتنا وبالهدوء الكامل لمـــا فيه من هواء ثقيل ..

ومضينا امامنا فى سكون وشـــبح « عائشـــة » الأبيض يبدو كأنها روح ترشدنا .. وجئنا الى كهف ثان أمامنا . ثم دخلنا كهفا أصغر من الأول ، وكان فى نهايته ممر يخترقه ضوء خافت ..

وقـالت : هـــذا جيد !

واسرعت امامنا على طول الممر . واصبح الضوء اقوى ، ثم اضعف ، ثم أقوى ثانية .. مثل اشـــعة قادمة من منار يضرب باشعته ليهـــدى الســـفن فى

البحر .. ومع كل شعاع كنا نسمع صوتا عميقا كأنه عاصفة تضرب الصخور !

واستدار الممر حول زاوية ركن .. ويا للسماء!!

كان هذا الكهف الثالث حوالى خمسين قدما فى الطول وثلاثين قدما فى العرض وتغطى ارضه رمال بيضاء .. ولم يكن الكهف مظلما مثل بقية الكهوف الأخرى ، وانما كان مليئا بضوء ذى الوان وردية . وبينما وقفنا فيه نتعجب من اين تأتى اضواؤه حدث شىء غريب وجميل .. فعبر الكهف وبضجيج بدا انه يهز الأرض والذى ملأ قلوبنا خوفا جاء حائط كبير من النيران الملونة المضيئة ذات لمعان يفوق الخيال .. وبدت هذه النيران زهاء نصف الدقيقة واهتز الكهف بصوتها..ثم خبت شيئا فشيئا تاركة وراءها وميضها الملون الذى شاهدناه ..

وقالت « عائشة » : تعالوا هنا .. هذه قلب الحياة وهى تضرب صدر العالم !

وتبعناها خلال الضوء الوردى حتى وقفنا أمام



المنـــارة ..

المكان الذى يضرب فيه ذلك القلب وحيث جاءت النيران . واذ مضينا شعرنا بقوة وحشية رائعة تسرى فينا وهو شعور كنا نحس فيه بأننا نقدر أن نفعل كل شىء وان نجاسر بأى شىء . وشعرنا فى داخلنا ببهجة عالية وبنفس اكثر نبلا مما سبق أن عرفنا قبلا ..

وعاد صوت النيران ودارت حولنا كأنها عاصفة.. ثم جاءت النيران المتعددة الألوان .. وهوينا نحن على ركبنا امامها واخفينا وجوهنا .. بينما وقفت « عائشة » مادة ذراعيها نحو الضوء .. !

وعندما ذهبت قالت (هى) :

ـ عندما تأتى النيران ثانية يا كاليكريتس يجب عليك أن تقف فى وسطها !

قال « ليو » : انى اسمعك يا « عائشة » ولكن اظنين انها لن تدمرنى بحيث افقد نفسى وافقدك انت ايضا .. ولكنى سأفعل ذلك !

وفكرت « عائشة » لحظة ثم قالت : انه ليس من اللائق أن تخاف ، ولكن هل اذا رايتنى اقف فى النار واخرج منها دون اذى يمسنى الا تدخل انت ؟.. ساستحم فى حمام الحياة هذا ثانية ! .. ولا يمكننى ان اضيف الى طول أيامى او الى جمالى .. ولكنى عندما جئتها أولا فقد امتلأ قلبى بكراهية المصريين . و لأمر الآن مختلف وانا الآن مليئة بالسعادة والحب .. وربما كانت النار ستغسلنى وتجعلنى نقية نظيفة واكثر ملاءمة لك !

وسمعنا صوت النيران العائدة من بعيد ..

وصرخت (هى) تقول : استعد ! استعد !!

(٣١) عائشـــة فى النـــار

وضعت « عائشة » نقابها جانبا واخذ شعرها يتطاير حولها .. واقترب الصوت .. ووضعت ذراعيها حول عنق « ليو » وهمست قائلة :

ــ آه يا حبيبى .. أتراك ستعرف كم أحببتك ؟!

كان الصوت كأنه ريح عاتية تمرق خلال غابة

كاملة ملقية بأشجارهـا ارضـا . واقتربت وازداد اقترابها . والآن اخذت اسهم من نار تنفذ خـلال الهـواء ذى اللون الوردى الأحمـر . ثم ظهر طرف النار ، والتفتت « عائشة » نحوها . وجاءت الريح ، وسارت على هيئتها .. وبدت كأنها ترفعها بيديها ، وتصبها على راسها كالمياه .. ورايتها كأنها « روح النار » .. ولعبت النار على شعرها .. وحول رقبتها وبدت كأنها سكنت فى عينيها ولم اشهد أبدا مثل هذا الجمال .. !

وفجأة طرأ تغير على وجهـا : كانت الابتسامة قد زالت عن شفتيها وحلت محلها الآن نظرة جافـة صارمة .. وبدا الوجه المستدير يصبح حـادا قلقـا غاضبا .. ثم اخذت العيون تفقد ضياءها والجسم كله يصبح اقل استقامة عن ذى قبل ..

وفركت عينى وظننت أن الضوء اللامع قد جعلنى ارى الأشياء على غير حقيقتها وان النار الكبيرة قد اخذت ترحل الآن تاركة « عائشة » واقفة هكذا .

خطت خطوة نحو « ليو » ومدت ذراعيها وكان الذراع رفيعا . برزت فيه العظام .. وكان وجهها .. كان وجهها يزداد تقدما فى السن أمام عينى ..

وقالت : ما الأمر يا كاليكريتس ؟ ان النار هنا غريبة بعض الشيء لا استطيع ان ارى بوضوح . ورفعت يدها ، ولمست شعرها .. وسقط شعرها كله على الأرض .. !

وصاح « جوب » : انظر . ! انظر . ! ان وجهها يتغضن ويذبل .. انها تتقدم فى السن سريعا سريعا .. وهوت الى الأرض بلا احساس .

كان الأمر حقيقيا .. رايت جلدها يتغير لونه .. اصبح لونه اصفر داكنا ترتسم عليه ملايين الخطوط وكان صغيرا لا شكل له .. ونامت راقدة على الأرض تتحرك بضعف وموات .. هى التى كانت منذ دقائق قليلة ابهى وافخر امراة وقعت عليها العين فى هـذا العالم كله .. ! ؟

كانت تدخل عالم الموت .. ورأينـا ذلك كله وشكرنا الله عليـه .. ذلك لأنها لو كانت بقيت على قيد الحياة فكيف ستكون حياتها .. ؟

ورفعت (هى) نفسها فوق عظام يديها ونظرت حولها بعيون لا ترى .. !

وقـالت : يا كاليكريتس .. لا تنسـنى .. واشـفق على فى عارى وفضيحتى .. سـآتى مرة اخرى .. وسأكون جميلة مرة ثانية !

وفى نفس المكان الذى قتلت فيه كاليكريتس منذ الفى عام .. سقطت « عائشة » نفسها ميتة .. !

وهويت أنا الآخر وسقطت بلا احسـاس على رمال المكان ..

(٣٢) قفزة من اجل الحياة

لست اعرف كم ساعة رقدت هناك ، ربما ساعات عديدة .. وفى النهاية فتحت عينى ورأيت الاثنين الآخرين يرقدان على الأرض . وقفت واخذت القناع ووضعته على تلك التى كانت فى يوم من الأيام « عائشة » ..

ذهبت الى « جوب » وكان مستلقيا على وجهه

وقلبته وسقطت راسه الى الخلف بشكل لم يبد لى طبيعيا .. ونظرت اليه : كان ميتا !!
واخيرا وقف « ليو » ..

ثم رايت شيئا آخر رهيبا .. كان شعره ابيض فى بياض الثلج وقد كبر عشرين عاما ..

قلت ان « جوب » ميت .. اوه !!! يبدو ان ذهنه ابى أن يتلقى وقع هذا الحدث !!!

ذهبت وملأت المصابيح بالزيت من الأوعية التى جلبناها معنا ..

وفى النهاية وقف « ليو » ثم ذهب الى « جوب » ولمس يده .. واخذ بضع شعرات من راس « عائشة » وضمها الى شفتيه وهمس لنفسه : لقد هتفت بى الا انساها .. ولن انساها ابدا ! .. سانتظرك كما انتظرتنى !

وجدنا طريقنا بلا مشقة للعودة بين الكهوف

بلا مشقة .. فقد حرصت على ملاحظة الممر جيدا ..
وسكتنا جميعا ولم يتكلم احد منا اثناء العودة ..

واخيرا جئنـا الى الصخرة المتأرجحة . كان اللوح قد اختفى ولم يكن هناك غير طريق واحد يمكن أن نقطعه ونعبره .. ووجب علينا هنا ان نقفز فوقه..

لم اعرف ماذا كانت الساعة الآن فلقد توقفت ســاعتى ورجـوت أن يـكون الوقت قــد قرب من الغروب .. ورجوت ايضا ان يعود شــعاع الشمس الغاربة .. وجلسـنا ننتظر دون ان نعرف ما اذا كان سيأتى ذلك الضوء ومتى ..

وبعد بضع ساعات انبثق خلال الظلام سيف من شعاع أحمر .. وقـلت : سأذهب أنا أولا وتجلس انت على الطرف الآخر من الحجر لتحتفظ به ثابتا ..

وبعد ذلك فعلت شيئا لم افعله منذ كان « ليو » صبيا صغـيرا .. وضعت ذراعى حـوله وقبلتــه وقـلت.: وداعا .. وآمل أن نلتقى ثانية !

ثم عدت الى ابعد ما استطعت لأحصــل على اكبر مسافة تسمح لى بالجرى وانتظرت حتى جاءت هبــة من تلك الريح .. وكان امــلى فى العبور انهــا ستساعدنى ..

ثم علمت ، وانــا فى وسط الهواء انى قد قفزت قفزة ناقصة .. ان يدى وجسمى فقط قد وصــلا الى الأرض وبقيت رجلاى فى الهواء !

ثم سمعت صرخة .. ورايت « ليو » وســط الهواء .. ومر جســمه سريعا من فوقى .. ! وكانت قفزته رائعة حقا .. ولقد حققها مدفوعــا بالخــوف وبما بدا من فقدان الأمل فى المحاولة .. وقذف بنفسه الى الصخرة حتى وصـــل الىّ ومد ذراعــه نحوى وسمعت قرقعة عظامه وهو يشـــدنى نحوه بقوة رائعة شابة .. ورفعنى رفعا حتى استطعت ان اعبر بأمان



وجـذبني الى اعلى ..

الى سطح الصخرة .. وكنا قد تركنا مصابيحنا وراءنا طبعا . وكان علينا الآن أن نتحسس طريقنا فى الظلام . ولم تكن قد أكلنا شيئا أو شربنا ماء عدة ساعات وكنا نشعر بالضعف لذلك ..

ورقدنا على الأرض ثم رحنا فى النوم لمدة .. ولست أدرى متى ؟ ! ثم سرنا متحسسين طريقنا قدما بقدم وبوصة ببوصة .. !!

واخيرا عندما فقدنا الأمل تقريبا رأينا بياضا خافتا امامنا .. وعندما خرجنا من الكوخ كان الصباح المبكر قد طلع ..

قلت : استمر يا « ليو » .. وأملنا الا يكون « بلال » قد جاء !

وبينما كنا نأخذ طريقنا على أيدينا وركبنا فوق

الصخور (ذلك اننا كنا أضعف من أن نشد قامتنا وقوفا) رآنا أحد الخدم وجرى عائدا الى الأشجار ..

ورأيت « بلال » يجرى مهرولا نحونا ..

وصرخ قائلا : يابنى .. ! .. والأسد .. ! ان شعره أبيض .. ولكن أين الآخر ؟ .. وأين هذه التى ـ يجب ـ أن تطاع .. ؟

أجبته : ماتت .. كلاهما مات .. !!

(٣٣) رحلة العودة

عندما استيقظت رايت « بلال » جالسا الى سريرى . وكنت فى كوخ جهزه خدم « عائشة » من اغصان الأشجار . وفى الناحية الأخرى من الكوخ رايت « ليو » لايزال نائما وكان شعره جد ابيض وقد تشققت ذراعه وجرح وجهة بفعل الصخور .. وأغلقت عينى مرة ثانية ..

قال « بلال » : لقد نمت نوما طويلا !

فسـألته : كم كان طويلا ؟

فاجـاب : يوما وليلة . اخبرنى ماذا حدث ؟

لم أخبر « بلال » بكل شيء ولكنى انبأته بكل ما هو ضرورى وكنت استطيع ان ارى انه لم يصدق أن (هى) قد ماتت .. **ومع ذلك فقد قال « بلال »** :

ـ لقـد قررت بحكمتهـا أن تتركنـا مدة من الوقت .. ولقد حدث مرة ، اثناء زمن ابى أن غابت اثنى عشر عاما ، كمـا قبل ايضـا انها غابت كذلك اربعين عاما ، منذ زمن طويل .. ثم عادت وقضت على امراة أخرى كانت قد احتلت مكانتها كملكة تحكم شعبنا ..

ولم اقل شيئا .. **وواصل « بلال » حديثه** :

ـ والآن ربما تريد أن تغادر هذه البلاد ؟ .. لقد سمعت أن وراء الوادى الكبير .. وبعد رحـلة تستغرق ثلاثة أيام عبر الأراضى الواطئة .. ثم سبعة

أيام بعد ذلك تجد بعدها نهرا كبيرا . لقد انقـذت حياتى مرة عندما سقطت فى المـاء .. وأنا الآن قادر على معاونتك ولكن انظر .. ! ان الأسـد يستيقظ الآن .. يجب أن تأكل الطعام الذى أعددته لك !

وظل « بلال » غائبا طيـلة اليوم التـالى يعد تجهيز الرجال ليحملونا والمرشـدين ليهدونا الطريق **وقـال :**

ـ انى سآتى معكم لأنى لا أثق بهؤلاء الرجال ..!

ولن أقول شيئا عن هذه الرحلة . وسرنا خلال الأرض الواطئة وجئنا فى النهاية الى واد مفتوح خال من الأشجار وليس فيه علامات على مساكن الناس . كان على « بلال » أن يعود .. **وقـال :**

ـ وداعا أيهـا « السعدان » .. ووداعا أيهـا الأسـد .. لا أستطيع الآن أن أفعل المزيـد لكم .. سأذكركم كثيرا .. !

وعاد ووقفنا نراقب صف الرجال وهم يعودون حتى غابوا عن الأنظار .. واخيرا وصلنا الى قرية صغيرة ، وكان النـاس فيهـا ذوى مودة ، وسـاعدونا أثنـاء الطريق .. وهكذا جئنا اخيرا الى زامبيزى ووصلنا خليج « ديلاجوا » حيث وجدنا سفينـة نقلتنـا الى انجلترا ..

وليست هذه هى نهاية القصة .. القصة التى بدأت منذ الفى عـام .. ولابد ان تصل ايضا الى الأعوام التى ستجىء .. وكثيرا ما اجلس ليلا واحاول ان انظر فى ظلام الزمن الذى لم يولد .. وأتساءل أين وكيف سيمضى هذا الزمن .. ؟ !!

فهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٩
١ ـ كيف وصلتنى هذه القصة	١٣
٢ ـ كيف جاء الصندوق الحديدى إلى هوللى	١٩
٣ ـ ليو. يكبر وينمو	٢٩
٤ ـ فتح الصندوق الحديدى	٣٣
٥ ـ عاصفة فى البحر	٤٥
٦ ـ بعض الصدق فى القصة	٥٧
٧ـ صعودا مع النهر	٦٣
٨ ـ شعب الأحجار	٧٥
٩ ـ الراحة فى الكهف.	٨١
١٠ ـ الأيام الأبعة الأولى	٨٦
١١ ـ معركة فى الكهف	٩٥
١٢ ـ بعد المعركة	١٠٣

١٣ ـ الرحلة إلى كور ١٠٩
١٤ـ مسكن.. «هى» ١١٥
١٥ـ «هى».. تريد رؤيتك ١٢٣
١٦ ـ وحيدا مع الملكة ١٢٧
١٧ـ عائشة ترفع الحجاب ١٣١
١٨ـ لعنة عائشة ١٤١
١٩ـ حكم عائشة.................................. ١٤٧
٢٠ـ كهوف الموتى ١٥١
٢١ ـ عائشة.. وليو ١٥٩
٢٢ ـ اذهبى يا امرأة.................................. ١٦٥
٢٣ ـ حفلة الرقص ١٧١
٢٤ ـ السحر ١٧٩
٢٥ ـ الميت والحى يلتقيان. ١٨٣
٢٦ ـ خطة عائشة ١٨٧
٢٧ ـ خرائب كور.................................. ١٩١
٢٨ ـ داخل جبل النار ١٩٧
٢٩ ـ الحجر المتأرجح ٢٠٣

٣٠- نار الحياة. ٢١١
٣١- عائشة فى النار ٢٢١
٣٢ - قفزة من أجل الحياة ٢٢٥
٣٣ - رحلة العودة ٢٣٣

٩٨/٧٩٨٥
I.S.B.N 977-01-5717-1

مكتبة الأسرة



بسعر رمزى جنيه واحد
بمناسبة
مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٨

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الغموض.. الإثارة .. المغامرة
والأحداث السريعة المتلاحقة..
المفاجآت التى تحبس الأنفاس
الجولات المثيرة فى ربوع ومجاهل
أفريقيا.

هذا هو الطابع العام الذى
يميز معظم الروايات والأعمال
الأدبية لهذا ال
العظيم.. سير
مـؤلف هـذا
عائشة).